لواء مهندس أحمد عبد الوهاب

الإسلام والأديان الأخرى

نقاط الاتفاق والاختلاف

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثانية

مزيدة .. ومنقحة .. ومصححة

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٤٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى إخوته السابقين من الأنبياء والمرسلين ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد هو : الإسلام لله رب العالمين .

أما بعد .

فلقد كان من توفيق الله وكرمه أن نفدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى مدة وجيزة لم تكن فى الحسبان ، والآن فقط وبعد نحو أربع سنوات تظهر طبعته الثانية – وبها إضافات هامة – وما كان لها أن تتأخر لهذا الحد إلا بسبب ظروف صعبة يعرفها القريب والصديق .

فمعذرة إلى ربنا ذى الرحمة الواسعة ، ودعاء إليه – سبحانه – أن ينزل من انتقلت إلى جواره الكريم منازل الرضوان ، وأن يجعلها مع الصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

﴿ ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللهِ ، وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا ﴾ .

أحمد عبد الوهاب

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

دين الله واحد ، ما فى ذلك شك .. والبرهان على ذلك سهل ميسور .
فلقد أثبتت أبحاث العَالِم الألمانى الدكتور ميلر : « **أن الناس كانوا فى أقدم عهودهم علي التوحيد الخالص ، وأن الوثنية عرضت عليهم بفعل رؤسائهم الدينيين** » (١) .

وفى دراسة عن عقائد القبائل الوثنية فى أفريقيا وجد « **أن فكرة الله الأعلى ، تكاد تكون موجودة لدى جميع القبائل** . بل إن مفهوم الذات الإلهية الكلية الحضور ، والذاتية الاكتفاء ، والشاملة القدرة ، نجده بين كثير من القبائل .. **ومفاهيم الخير والشر موجودة أيضاً فى هذه الديانات (الإفريقية) ، بل لعلها عميقة الجذور فيها إلى حد لا يتصوره الكثيرون** » (٢) .

هذا ما أثبته العلم الحديث ... وهو ما سبق أن قاله القرآن – ولا يزال يقوله للناس – منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان . ففى تقرير موجز نجده يقول :﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ ، وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[سورة يونس : ١٩] .
وبشيء من التفصيل نجده يقول :

---

(١) من مقدمة « تفصيل آيات القرآن الحكيم » – وضعه بالفرنسية : جول لا بوم – نقله إلى العربية : محمد فؤاد عبد الباقى .

(٢) الرب والله وجوجو (الأديان فى إفريقيا المعاصرة) – تأليف القس جاك مندلسون ص ١٠٨ .

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ، وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٣] .

إن دين الله يقوم على قاعدتين أساسيتين :

الأولى : إيمان بالله الواحد الأحد الذى تنزه عن الشبيه والمثل . وتصاغ هذه العقيدة ببساطة ووضوح فى قول : لا إله إلا الله .

والثانية : عمل صالح وفق شرع الله الذى أرشد إلى الخيرات وحث على فعلها ، وحدد السيئات ونهى عنها . وبتحقيق هذين العنصرين – الإيمان والعمل الصالح – يرتقى الإنسان إلى مستوى الأبرار ، فيضمن بذلك الحياة الأبدية فى سلام دائم ونعيم مقيم .

وهذا الكتاب الذى بين يدى القارئ الآن ، كان بحثا ألقى فى **ندوة التعريف بالإسلام** التى عقدت فى جامعة رابيدا (سانتا ماريا) **بأسبانيا** فى أغسطس ١٩٩١ ، تحت عنوان : **الإسلام والأديان السماوية الأخرى** – ويقصد بها تحديدا : اليهودية والمسيحية – ثم رؤى من الأفضل نشره بين الناس بعد تدعيمه بعدد من الملاحق التى تعالج بشىء من التفصيل بعض موضوعات البحث ، والتى كان من المتعذر عرضها خلال وقت الندوة المحدد . فلقد أثبت الواقع – والواقع دائما خير برهان – أن كثيرا من الناس لا يقرءون **كتابهم المقدس** . ولا يهتمون بمعرفة مصادر عقائدهم وتطورها . ومن ثم جاء هذا الكتاب فى صورة مبسطة تعطى موجزا لنقاط الاتفاق والاختلاف بين الإسلام وكل من اليهودية والمسيحية ، بما يسمح للقارئ الذى شغلته مشاكل الحياة اليومية عن الإلمام بمثل هذه الموضوعات ، أن يحيط بشىء منها فى عصر تدفق المعلومات وتشابك العلاقات وازدياد الاحتكاك والمخالطة بين الأفراد والجماعات .

*

اليوم أصبحت « **النصوص المقدسة** » فى متناول الجميع ، فلم تعد هناك حاجة إلى وسيط يلقن ، أو مسيطر يملى فهما خاصا **فيما يتعلق بالمعتقدات** . فالعقل الإنسانى كفيل بالفهم والاستيعاب . ومن حسن الحظ أن هذا ما اتفقت عليه الديانات الثلاث .

ففى اليهودية : نجد دعوة إلى استعمال العقل فى فحص مختلف القضايا ، كما نجد تنديدا شديدا بالأغبياء وعديمى البصيرة . لقد كان هذا آخر وحى لموسى وهو يتحدث إلى بنى إسرائيل ويتحدث عنهم « أ الرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم ! .. إنهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم **لو عقلوا لفطنوا** – تثنية ٣٢ : ٦ ، ٢٨ – ٢٩ » .

ونجد مثل ذلك فى أسفار الأنبياء مثل أشعياء وحزقيال عند التنديد ببنى إسرائيل : « غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه : لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى – أشعياء ٦ : ١٠ » .

« كان إلى كلام الرب : يا ابن آدم ! أنت ساكن فى وسط بيت متمرد : **الذين لهم أعين لينظروا ولا ينظرون . لهم آذان ليسمعوا ولا يسمعون** – حزقيال ١٢ : ١ – ٢ » .

وفى المسيحية : نجد المسيح يندد بالإسرائيليين الذين عاصروه لأنهم أبطلوا حواسهم وعقولهم ، فيقول : « قد تمت فيهم نبوءة أشعياء القائلة : تسمعون سمعا ولا تفهمون . ومبصرين تبصرون ولا تنظرون – متى ١٣ : ١٤ » .

ثم كان حرص المسيح على أن يختم بعض أمثاله ومواعظه بدعوة إلى إعمال العقل وذلك عن طريق السمع الواعى فيقول : « من له أذنان **للسمع فليسمع** – متى ١١ : ١٥ ، ١٣ : ٩ ، لوقا ٨ : ٨ » .

وفى الإسلام : نجد سيادة للعقل يحكم بموجبها فى مختلف القضايا وفى مقدمتها قضايا الدين . وفى هذا يقول القرآن عقب عرض كثير من هذه القضايا : ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات **لعلكم تعقلون** ﴾[سورة النور: ٦١] .

﴿ لعلكم تعقلون ﴾ [سورة البقرة : ٧٣ ، ٢٤٢ – سورة يوسف : ٢ – سورة غافر : ٦٧ – سورة الزخرف : ٣ – سورة الحديد : ١٧] .

﴿ أفــلا تعقــلون ﴾ [ســورة البقرة : ٤٤ ، ٧٦ – ســورة آل عمران : ٦٥ – سورة الأنعام : ٣٢] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِـدَةٍ ، أَن تَـقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ [سورة سبأ : ٤٦] .

﴿ أو لم يتفكروا ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٤ – سورة الروم : ٨] .

﴿ لعلــهم يتــفكرون ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٦ – سورة النحل : ٤٤ – سورة الحشر : ٢١] .

﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكــرون ﴾ [سورة الروم : ٢١ – سورة الزمر : ٤٢ – سورة الجاثية : ١٣] .

﴿ كتــاب أنزلــناه إليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب ﴾ [سورة ص : ٢٩] .

﴿ وما يذكر إلا أولوا الألبــاب ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٩ – سورة آل عمران : ٧] .

﴿ إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ [سورة الرعد : ٤٩ – سورة الزمر : ٩] .

﴿ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٥٢] .

ونقرأ من أحاديث رســول الله ﷺ قوله : « أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ! فأقبل . ثم قال له : أدبر ! فأدبر . ثم قال الله عز وجل : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أكرم علىّ منك . بك آخذ ، وبك أعطى ، وبك أثيب ، وبك أعاقب » (١) .

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال :« لكل شىء دعامة ، ودعامة

---

(١) الطبرانى فى الأوسط .

المؤمن عقله. فبقدر عقله تكون عبادته . أما سـمعتم قول الفجار فى النار : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١) » [سورة الملك : ١٠] .

هذا وإن غاية ما أرجوه أن يقدم هذا الكتاب موجزا كافيا لنقاط الاتفاق والاختلاف الرئيسية بين الإسلام واليهودية والمسيحية . ووسيلته إلى ذلك وضع **النصوص المقدسة** بين يدى القارئ ، **وله بعد ذلك أن يحكم العقل ويمعن النظر ويتدبر الأمر .**

ولعل هذا الكتاب يكون – بذلك – وسيلة لتصحيح المفاهيم الخاطئة والأحكام المسبقة والتقاليد المتوارثة التى جانبها الصواب ، فيساعد على التقريب والمودة بدلا من التباعد والجفاء ، خاصة ونحن فى عصر يتجه نحو العالمية ، ويبحث عن المفاهيم المشتركة بين الناس .

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلإِيمَانِ أَنْ آمِـنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَـدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

[سورة آل عمران : ١٩٣ – ١٩٤] .

أحمد عبد الوهاب

---

(١) ابن المحبر وعنه الحارث .

تمهــــــيد

يتكون « الكتاب المقدس » عند المسيحيين من جزئين رئيسيين هما : العهد القديم ، والعهد الجديد ، ويتصدر كل منهما فهرس يبين محتوياته .

ويتكون العهد القديم – حسب عقيدة اليهود والبروتستانت – من تسعة وثلاثين سفرا ، بينما يضيف الكاثوليك سبعة أسفار أخرى تحت اسم : الأسفار القانونية الثانية . وهى مأخوذة من أسفار منحولة تعرف باسم الابوكريفا .

ويتكون العهد الجديد من الأناجيل الأربعة : متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، وسفر أعمال الرسل ، ورسائل بولس ، ورسائل بعض تلاميذ المسيح ، ورؤيا يوحنا . ويبلغ مجموع أسفاره سبعة وعشرين كتابا ، ولم يتفق على محتواه إلا سنة ٣٦٧ م .

وتعرف الأناجيل الثلاثة الأولى باسم الأناجيل الإزائية أو المتشابهة وهى تختلف عن الإنجيل الرابع فكرا وأحداثا .

وقد قسم كل سفر من أسفار « الكتاب المقدس » إلى عدد من الإصحاحات (الفصول) ، يحمل كل منها رقما مسلسلا،كما رقمت عبارات كل إصحاح . وبذلك يمكن الوصول إلى أى عبارة (عدد) منه بمعرفة : اسم السفر ورقم الصفحة الأولى منه (وهذه تؤخذ من الفهرس) . بعد ذلك يجرى البحث خلال السفر نفسه للوصول إلى الإصحاح المطلوب حسب رقمه ، ثم يجرى البحث داخل الإصحاح نفسه للوصول إلى العبارة المطلوبة حسب رقمها .

مثال (١) :

عبارة أشير إليها هكذا : خروج ٢٠ : ٢ .

وهذا يعنى أنها تقع فى : سـفر الخروج – الإصحـاح رقم ٢٠ – العبارة رقم ٢ وهذه هى الوصية الأولى من الوصايا العشر كما جاءت فى التوراة ، والتى تدعو إلى توحيد الله ، إذ تقول :

« أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية ٠ لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » ٠

مثال (٢) :

عبارة أشير إليها هكذا : يوحنا ١٧ : ٣ ٠

وهذا يعنى أنها تقع فى : إنجيل يوحنا — الإصحاح رقم ١٧ — العبارة رقم ٣ وهذه تعطى شهادة التوحيد التى نطق بها المسيح وعلّمها تابعيه ، إذ تقول : « **وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته** » ٠

أى : **لا إله إلا الله ٠ المسيح رسول الله ٠**

*

ويتكون « القرآن العظيم » من ١١٤ سورة ، تبدأ فى المصحف بسورة « الفاتحة » ، وتنتهى بسورة « الناس » وتتكون كل سورة من آيات أعطيت أرقاما مسلسلة ٠ كما يوجد فهرس يبين أسماء السور ورقم الصفحة التى بها أول السورة ٠ فإذا كانت هناك آية أشير إليها هكذا : (البقرة : ١٦٣) ، فهذا يعنى أنها الآية رقم ١٦٣ من سورة البقرة ، والتى تقول : ﴿ **وَإِلَٰهكم إله واحد ، لا إله إلا هو ، الرحمن الرحيم** ﴾ ٠٠ وهكذا ٠

هذا — وتعالج الملاحق الموجودة فى نهاية الكتاب مجموعة من القضايا الأساسية وخاصة فى المسيحية ٠ وتقوم أغلبها على دراسات علماء الكتاب المقدس ٠

* * *

الفصل الأول

مدخل إلى الإسلام

- الإسلام دين الأنبياء والمرسلين جميعا
- عقائد وتعاليم أساسية فى الإسلام
- الموقف مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى

مدخل إلى الإسلام

تعريف :

تأتى كلمة الإسلام من مادة (سلم) . ويقال . سلّم) : انقاد ورضى بالحكم . وسلَّم على القوم : حياهم بالسلام . وسلّم أمره لله : أسلمه إليه سبحانه . والسلام : السلامة والبراءة من العيوب . والسلام : الأمان والصلح . والسلام : اسم من أسماء الله الحسنى ، وقد سميت الجنة : دار السلام لأنها دار السلام الأبدى والنعيم المقيم . « سَالَم » : صالح . واستسلم : انقاد .

والإسلام : الخضوع لله والعيش وفق منهجه ومن ثَمَّ الحياة فى سلام دائم . وبذلك يكون المسلم هو كل من أسلم قلبه ووجهه إلى الله .

*

أولا : الإسلام دين الأنبياء والمرسلين جميعًا

لم يكن الإسلام الذى دعا إليه محمد رسول الله ﷺ فى مطلع القرن السابع الميلادى دينًا جديدًا ، إنما كان تجديدًا لدين الله الحق ، الإلٰه الواحد ذى الدين الواحد ، وذلك بعد أن تعرض لتشويه وانحراف ودخلت عليه أوهام وضلالات من ضنع البشر .

فلقد خاطب الله نبيه محمدا فى القرآن بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٦١] .

والإسلام دين الأنبياء والمرسلين جميعًا ومن تبعهم من عباد الله الصالحين وذلك منذ بدء الخليقة إلى قيام الساعة . فهذا ما يقوله القرآن .

فلقد كان نوح – أبو البشرية الثانى – مسلما ، إذ قال لقومه : ﴿ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ

وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ * فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس : ٧١ - ٧٢] .

وكذلك كان إبراهيم وبنوه : إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، كانوا جميعًا مسلمين ، وتواصوا وذرياتهم أن يكونوا مسلمين : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ، وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٣٠ - ١٣٣] .

وكان بنو إسرائيل الذين آمنوا بالله حقا وبعبده المرسل موسى مسلمين : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس : ٨٤] .

وكان سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى - رسولاً من الله - مسلمين ، إذ قالوا لفرعون ، في تحد وثبات : ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢٦] .

وكان جميع أنبياء بني إسرائيل مسلمين . هكذا يقول الله في القرآن : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ [سورة المائدة : ٤٤] .

وكذلك كان حواريو المسيح وتلاميذه مسلمين : ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٢] .

من أجل ذلك كان الحق الذى لا مرية فيه ، هو قول الله فى القرآن : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٩] .

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . [سورة آل عمران : ٨٥] .

ولقد قال محمد رسول الله ﷺ فى حقيقة وحدة الدين : « الأنبياء أخوة ، أبناء علاَّت ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد » (أخرجه الشيخان) .

وعلى ضوء ما قدمنا ، وخاصة عند الحديث عن تعريف كلمة الإسلام ، نجد توافقا بين دعوة الأسفار ودعوة القرآن إلى الإسلام . ففى سفر أيوب : « هوذا الله فى علو السموات . . **تعرَّف به واسلم** . وبذلك يأتيك خير . اقبل الشريعة من فيه ، وضع كلامه فى قلبك » . (أيوب ٢٢ : ١٢ ، ٢١ - ٢٢) .

* *

ثانيا : عقائد وتعاليم أساسية فى الإسلام

الإيمان الكامل

هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر يوم البعث والجزاء :
﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٥] .

أما الذين : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ، وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [سورة النساء : ١٥٠ – ١٥١] .

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٣٦] .

فحقيقة الدين ليست طقوسا وحركات جوفاء ، لكنها إيمان كامل وقر فى القلب وصدّقه عمل صالح :

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] .

تلك هى عناصر الإيمان بوجه عام ، والآن نعرض بعض هذه العناصر بشىء من التفصيل .

* *

١ – الله

هو الإله الواحد الأحد ، الذى تنزه عن الشبيه والمثل : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٣] .

﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص] .

ولقد قال محمد رسـول الله ﷺ إن سـورة الإخلاص هذه تعدل ثلث القرآن .

وهو أرحم الراحمين حقًّا ، فهو أرحم بالإنسان من رحمة الأم بوليدها :

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [سورة الأنعام : ٥٤] .

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١٤٧] .

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٦] .

وهو الذى يغفر ذنـوب الإنـسان جميعها مـهما عظـمت ، دون واسطة أو شفيع : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الزمر : ٥٣] .

لكن ذنبا واحد لن يغفر للإنسان ، وهو أن يلقى ربه وقد أشرك به شيئًا :

﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ، وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء : ١١٦] .

والله أقرب للإنسان من مكونات جسده :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [سورة ق : ١٦] .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٦] .

ولقد غفر الله خطيئة آدم ، بعد أن قبل توبته واستغفاره :

﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [سورة طه: ١٢٢]

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[سورة البقرة: ٣٧] .

ولذلك لا يوجد فى الإسلام ما يقال عن خطيئة أصلية يتوارثها الأبناء عن الآباء : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[سورة المدثر : ٣٨] .

﴿ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ، وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[سورة الإسراء : ١٥] .

والله ليس إلّها اختص بقبيلة من القبائل أو شعب من الشعوب ، ثم ترك الآخرين دون هدى ورحمة . فلقد اقتضت رحمته وعدله أن يبعث رسله إلى كل الأمم ، ما نعلم وما لا نعلم :

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[سورة فاطر : ٢٤] .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل : ٣٦] .

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ . . . ﴾ .

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ . . . ﴾ .

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ . . . ﴾ [سورة هود : ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤] .

وما هؤلاء إلا جزء يسير من عدد هائل من رسل الله إلى الناس : ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾[سورة النساء : ١٦٤ - ١٦٥] .

* *

٢ - الأنبياء

هم القدوة والمثل الصالحة ، اصطفاهم الله وجعلهم هداة للبشرية ، ولهذا يؤمن بهم كل مسلم ويتخذ من سيرهم العطرة وجهادهم المتواصل نماذج تحتذى .

يقول الله عن نوح وإبراهيم ومن صلح من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ [سورة الانعام : ٨٣] .

﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ، وَمِن ذُرِّيَّتِهِ ، دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ ، كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ، وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الأنعام : ٨٤ - ٨٧] .

* *

٣ - الإنسان

هو من بين أكرم الخلائق عند الله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [سورة الإسراء : ٧٠] .

ويتفاضل الإنسان عند الله بعمله وتقواه ، لا بنسبه ولونه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة الحجرات : ١٣] .

وليحيا الناس في مودة وسلام ، فذلك خير لهم جميعا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٠٨] .

وعلى الناس أن يتعايشوا فى سلام ، وألا يكون اختلاف الدين سببا للعداوة والبغضاء فالحق يقول :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[سورة هود : ١١٨] .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِى الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[سورة يونس : ٩٩] .

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ، قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ ﴾[سورة البقرة : ٢٥٦] .

﴿ لاَّ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[سورة الممتحنة : ٨] .

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾[سورة التوبة : ٦] .

وإذا كان الله قد تفضل على الإنسان فجعله خليفة فى الأرض ، يعمرها ويستثمر خيراتها ، فليس مجال عمله مقصورا على الأرض فقط ، بل إنه يمتد عاليا ليشمل السماء : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[سورة الجاثية : ١٣] .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ، وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾[سورة لقمان : ٢٠ - ٢٢] .

* * *

ثالثا : الموقف مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى

مخاطبتهم كطرف فى قضية الإيمان بالله ورسالاته :

جعل الإسلام لأهل الكتاب من اليهود والنصارى منزلة خاصة فى المعاملة والتشريع ، باعتبارهم يتوارثون كتبا نزلت أصولها الأولى من الله إلى عباده المكرمين من الأنبياء والمرسلين . ومن الطبيعى أن يصدّق القرآن على ما يوجد من حق فى تلك الكتب ما دام المصدر واحدا ، وهو الله ، فيزيد المؤمنين من أهل الكتاب إيمانا بآيات الله ، ويدفعهم إلى تعضيد نبى الإسلام الخاتم فى مواجهة المشركين وعبدة الأوثان . ولهذا توجه القرآن إليهم بالخطاب الكريم مرات ومرات ، فقال :

﴿ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ، وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّاىَ فَاتَّقُونِ * وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[سورة البقرة : ٤٠ – ٤٢] .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٦٤] .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ ، فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة المائدة : ١٩]

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ، مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ

يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٣ - ١١٥] .

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الاعراف : ١٥٧] .

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٦] .

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن نبوءات النبى الخاتم فى الأسفار ، ولكن نكتفى بإشارة مقتضبة لبعضها حيث يوصف بأنه :

● **نبى مثل موسى** – ليس من بنى إسرائيل – ولكنه من بين إخوتهم أى من أبناء عمومتهم (١) ، يضع الله كلامه فى فمه ، فلقد قال الرب لموسى : « **أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك** واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به – تثنية ١٨ : ١٧ » .

● **النبى الذى كان ينتظره اليهود على عهد يوحنا المعمدان كواحد من المنتظرين الثلاثة :**

« وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟ .

---

(١) تعتبر الأسفار أن ذرية الأحفاد يعتبرون أخوة لذرية الأحفاد الذين يشتركون معهم فى الجد الأكبر . ومن أمثلة ذلك قول الرب لموسى : « أوص الشعب قائلا : أنتم مارون بتخم اخوتكم بنى عيسو الساكتين فى سعير – سفر التثنية ٢ : ٤ » .

لقد كان عيسو ويعقوب (إسرائيل) أخوة ، وكان أبناء الجيل الأول لكل منهما أبناء عمومة للآخرين . وعلى عهد موسى دعى أحفاد كل منهما أخوة لأحفاد الآخرين .

فاعترف ولم ينكر وأقر : أنى لست أنا المسيح ٠
فسألوه : إذا ماذا ؟ إيليا أنت ؟ ٠
فقال : لست أنا ٠
النبى أنت ؟ ٠
فأجاب : لا – إنجيل يوحنا ١ : ١٩ – ٢١ » ٠

● **المعزى روح الحق الذى بشر به المسيح :**

« أنا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ٠٠ روح الحق – إنجيل يوحنا ١٤ : ١٦ – ١٧ » ٠ ويقرر يوحنا فى رسائله أن روح الحق هو إنسان مؤمن حقًا ، فيقول :

« نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ، ومن ليس من الله لا يسمع لنا ٠ **من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال – (١) يوحنا ٤ : ٦ »** ٠

* * *

إعطاؤهم وضعا متميزا فى التعامل والعلاقات :

﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٦] ٠

ويبيح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب ، والأكل من ذبائحهم ومصاهرتهم والتزوج من نسائهم ٠ وبهذا أباح للمسلم أن تكون شريكة حياته وأم أولاده غير مسلمة وأن يكون أخوال أولاده وخالاتهم من غير المسلمين ٠ ويكون لهذه الزوجة الكتابية القيام بفروض عباداتها والذهاب إلى معبدها أو كنيستها لممارسة شعائر دينها :

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ، وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ، الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٥] ٠

* * *

الفصل الثانى

موجز لنقاط الاتفاق
بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى

- الله
- الأنبياء
- من تعاليم الحياة اليومية
- البعث والجزاء فى الآخرة

موجز لنقاط الاتفاق
بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى

يقصد بالأديان السماوية الأخرى – في هذه الدراسة – ما اصطلح على تسميته بالديانة اليهودية والديانة المسيحية أو النصرانية . ولسوف يكون البحث في نقاط الاتفاق بين هذه الأديان مقصورا على عرض ما في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، والذى سوف نشير إليه باختصار بكلمة : الأسفار – وكما نجده في القرآن ، وما يتعلق بذلك من تفاسير وتعليقات .. وذلك فيما يتعلق بالموضوعات الأساسية التالية :

- الإله
- الأنبياء
- من تعاليم الحياة اليومية
- البعث والجزاء في الآخرة

* *

١ – الله

هو الإله الذى لا إله إلا هو :

إن الإسلام دين التوحيد الخالص ،ولهذا فإن المسلم يعترف بصحة كل قول أو حديث يؤكد توحيد الله ويدعو إليه . ومن أمثلة ذلك ما نجده في الأسفار ويأتى مصداقا لما يقرره القرآن .

ففى الوصية الأولى لموسى ولبنى إسرائيل : « أنا الرب إلهك . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما .. لا تسجد لهن ولا تعبدهن . لأنى أنا الرب إلهك إله غيور – سفر الخروج ٢٠ : ٢ – ٥ » .

وفى الوحى إلى أشعياء : « قبلى لم يصور إله وبعدى لا يكون . أنا أنا

الرب وليس غيرى مخلص ... أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى ... أنا الله وليس آخر – ٤٣ : ١٠ – ١١ ، ٤٤ : ٦ ، ٤٥ : ٢٢ » .

وفى أقوال المسيح وتعاليمه : « **وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته** – إنجيل يوحنا ١٧ : ٣ » .

« كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض . والمجد الذى من **الإله الواحد** لستم تطلبونه – **إنجيل يوحنا ٥ : ٤٤** » .

« جاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله : أية وصية هى أول الكل : فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هى :

اسمع يا إسرائيل : **الرب إلهنا رب واحد** . وتحب الرب إلهك من كل قلبك .. هذه هى الوصية الأولى . وثانية مثلها هى تحب قريبك كنفسك .. فقال له الكاتب : جيدا يا معلم . **بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه** .. فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له : **لست بعيدا عن ملكوت الله** – إنجيل مرقس ١٢ : ٢٨ – ٣٤ » .

وفى رسائل تلاميذه : « **أنت تؤمن أن الله واحد . حسنا تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون** . ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت – رسالة يعقوب ٢ : ١٩ – ٢٠ » .

وفى القرآن : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٥] .

﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [سورة طه : ٩٨] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف : ١١٠] .

* *

ليس كمثله شيء على الإطلاق :

« ليس مثل الله . . **الإله القديم** – سفر التثنية ٣٣ : ٢٦ » .

« بمن تشبهون الله وأى شبه تعادلون به ؟! . . . . بمن تشبهوننى وتسووننى وتمثلوننى لنتشابه ؟! – سفر أشعياء ٤٠ : ١٨ ، ٤٦ : ٥ » .

« **الله لم يره أحد قط** – إنجيل يوحنا ١ : ١٨ » .

« **الذى لم يره أحد من الناس ، ولا يقدر أن يراه** – الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٦ : ١٦ » .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى : ١١] .

﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣]

* *

هو الحى الذى لا يموت أبدا :

« أنا أنا هو وليس إله معى . أنا أميت وأحيى . . حى أنا إلى الأبد – سفر التثنية ٣٢ : ٣٩ – ٤٠ » .

« **الذى وحده له عدم الموت** – الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٦ : ١٦ » .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ [سورة الفرقان : ٥٨] .

﴿ اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ [سورة آل عمران : ٢] .

﴿ هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [سورة غافر : ٦٥] .

* *

٢ – الأنبياء

هم عباد الله المكرمون ، اختصهم برحمته وجعل منهم حملة رسالاته إلى الناس ، و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، وهذا بعض ما تقوله الكتب المقدسة فى كوكبة متميزة منهم ·

*

نوح :

« كان نوح رجلاً بارًا كاملا فى أجياله · وسار نوح مع الله ·· وقال الرب لنوح أدخل أنت وجميع بنيك إلى الفلك · لأنى إياك رأيت بارًا لدى فى هذا الجيل – سفر التكوين ٦ : ٩ ، ٧ : ١ » ·

وفى القرآن : ﴿ وَلَقَدْ نَادانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة الصافات : ٧٥ – ٧٦] ·

﴿ سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الصافات : ٧٩ – ٨١] ·

﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً ﴾ [سورة الإسراء : ٣] ·

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ ﴾ [سورة سبأ : ١٣] ·

موسى :

« أما الرجل موسى فكان حليما جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض ···

نزل الرب فى عمود سحاب ·· ودعا هارون ومريم ·· فقال اسمعا كلامى· إن كان منكم نبى للرب فبالرؤيا استعلن له فى الحُلم أكلمه · وأما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى – سفر العدد ١٢ : ٣ ، ٥ – ٧ » ·

﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِى وَبِكَلاَمِى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٤] ·

﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ [سورة النساء : ١٦٤] ·

﴿ سَلاَمٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الصافات : ١٢٠ – ١٢٢] .

*

يحيى بن زكريا أو يوحنا المعمدان :

« قال له الملاك : لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد ابنا وتسميه يوحنا .. لأنه يكون عظيما أمام الرب ، **وخمرا ومسكرا لا يشرب . ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس . ويرد** كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم . ويتقدم أمامه بروح إيليا – إنجيل لوقا ١ : ١١ – ١٧ » .

فلقد كان يوحنا هو الذى عمد المسيح فى ماء الأردن . « ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا . وإذ كان يصلى انفتحت السماء **ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة .**

ولما ابتدأ يسوع (دعوته) كان له نحو ثلاثين سنة – إنجيل لوقا ٣ : ٢١ – ٢٢ » .

ولقد قال عنه المسيح للجموع : « ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبيًّا ؟ نعم ، أقول لكم وأفضل من نبى . فإن هذا هو الذى كتب عنه ها أنا أرسل **أمام** وجهك ملاكى الذى يهيىء طريقك قدامك .

الحق أقول لكم له يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان – إنجيل متى ١١ : ٨ – ١١ » .

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ، وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [سورة مريم : ١٢ – ١٤] .

*

المسيح عيسى بن مريم :

نكتفى هنا باستعراض بعض ما يقوله القرآن فى المسيح وأمه العذراء الطاهرة . فبالنسبة لمريم : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٢ – ٤٣] .

وبالنسبة لحملها العذرى دون الاتصال برجل : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ، قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ، أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ ، وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ ، وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٥ – ٤٩] .

وفى لحظة التنفيذ :

﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ ، إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ، وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ، وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ، فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ، قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ

وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [سورة مريم : ١٧ – ٣٣] ٠

*

وما كانت ولادة العذراء مريم أول حادثة من نوعها ، فقد سبقتها على الأقل حالة أخرى ذكرتها المصادر المسيحية عند الحديث عن تفسير النبوءة التى نقلها متى فى إنجيله من سفر أشعيا والتى تقول : « هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا [1] – إنجيل متى ١ : ٢٣ » ٠

يقول المفسرون : « هذه النبوءة مذكورة فى أشعيا ٧ : ١٤ ، وقد أوحى بها نحو ٧٤٠ ق ٠ م ٠ والعبارة منقولة عن الترجمة السبعينية : (وهى ترجمة نقلها من العبرانية إلى اليونانية بعض علماء اليهود فى الاسكندرية بين سنة ٢٠٠ و ٣٠٠ ق ٠ م ٠ وهى النسخة التى غلب استعمال اليهود لها فى أيام المسيح) ٠

وظن البعض أن هذه النبوءة تمت أولا فى أيام أحاز الملك فى ولادة ولد من فتاة كانت حينئذ عذراء لكنها تزوجت فيما بعد ٠ ثم إنها تمت ثانيا بأسمى معنى بولادة المسيح ٠ وظن آخرون أن أشعيا لم يشر إلا إلى يسوع ابن مريم ٠ والرأى الأول هو الأرجح لأنه كثيرا ما رأينا النبوءة الواحدة تمت عدة مرات » [2] ٠

*

---

(١) هناك قراءة أخرى أوردتها الترجمة الفرنسية المسكونية تقول أن عمانوئيل تعنى : « ليكن الله معنا » أى أنها صيغة دعاء وليست جملة خبرية ٠ إضافة إلى أن المسيح عندما ولد لم يسم : عما نوئيل ، حسب بشارة أشعيا ولكنه سمى يسوع ، كما سبق أن سمى ابن زكريا : يوحنا ، حسب البشارة التى ذكرها لوقا فى ١ : ١٣ ٠ من هذا يتبين أنه لا مجال للربط بين نبوءة أشعيا وولادة مريم العذراء حسب ما ذكره متى ٠

(٢) الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل : تفسير إنجيل متى – ص ٩ – صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى ٠ بيروت ٠

ويلاحظ أنه يوجد بين المسيحيين اليوم من لا يؤمن بولادة العذراء مريم كحادث تاريخي وقع فعلا رغم أن العلم الحديث يؤيد هذا المبدأ . ففي عام ١٩٥٥ ألقت الدكتورة هيلين سبيرواي – أستاذة علم البيولوجي بجامعة لندن – محاضرة بعنوان : ولادة العذارى ، جاء فيها :

« إن التوالد العذرى الذى تبدأ فيه البويضة بالانقسام ذاتيا ، منتجة جنينا بسيطا ، أو قيامها بتعويض الكروموزوم الأبوى الناقص بشكل ما من أشكال الازدواج يعتبر شيئا نادرًا جدا فى الفقاريات ذات الدم الحار لكنه شىء عادى فى اللافقاريات . وقد أمكن تسجيل عملية انقسام البويضة عذريا فى القط وحيوان ابن مقرض ، ثم حديثا فى بعض دجاج الرومى غير المخصب . . وبمراعاة كل تلك الاعتبارات ، علينا أن نعيد النظر فى مبررات اعتقادنا بأن التوالد الذاتى فى الفقاريات شىء نادر ، وأنه لا وجود له فى الثدييات » (١) .

ولقد أثبتت التجارب أنه بتنشيط البويضة بطرق كيميائية أو طبيعية فإنه يمكن حدوث إخصاب وتكوين جنين كما حدث فى الضفادع عندما وخزت بويضة الأنثى بدبوس فنشطت وكونت جنينا دون الحاجة إلى حيوانات منوية من الذكر .

*

ويتمتع المسيح فى القرآن بمكانة عالية ، فقد جاء : ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٥] .

ورسل الله وأنبياؤه درجات متفاوتة ، وإن حظوا جميعا بنعمة اصطفاء الله لهم وتفضيلهم جميعا على غيرهم من سائر البشر .

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٣] .

---

(١) انظر مجلة LANCET الطبية الإنجليزية – مجلد ١٩٥٥ ، وكذلك الصحيفة الإنجليزية SUNDAY PICTORIAL , London , 6 th November , 1955 .

إن المسلم يعلم يقينا أن المسيح جاء رسولا من الله إلى بنى إسرائيل ، وأنه كان نبيا من أفضل الأنبياء ، وهو أولا وأخيرا عبد من عباد الله المكرمين . ولهذا يؤمن المسلم بكل قول فى الأسفار يضع المسيح فى موضعه الصحيح هذا ولا يتعداه بأن يجعله إلها أو ابن إله . ومن أمثلة ذلك :

● شهد المسيح أنه نبى بلا كرامة فى وطنه . فقد « كانوا يعثرون به . فقال لهم يسوع **ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه** وبين أقربائه وفى بيته . ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة – إنجيل مرقس ٦ : ٤ – ٥ » .

● وحين أحيا الميت الابن الوحيد لأمه الأرملة – وهى معجزة كبرى – هتف الجميع بأنه نبى عظيم . فعندما « تقدم ولمس النعش فوق الحاملون . فقال أيها الشاب لك أقول قم . فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه . فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه – إنجيل ٧ : ١٤ » .

● ولقد شهد تلاميذ المسيح أنه عبد الله ورسوله ولا شىء أكثر من هذا . فها هو متى يقرر فى إنجيله (١٢ : ١٧ – ٢١) أن المسيح حين جاء ، صدقت فيه نبوءة أشعيا (الإصحاح ٤٢) التى يقول مطلعها : « **هو ذا عبدى الذى أعضده** .. وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » .

● وكذلك شهد بطرس ويوحنا وبقية التلاميذ أن المسيح كان عبداً لله [1] : « رفعوا أصواتهم إلى الله بقلب واحد فقالوا : يا سيد ، أنت صنعت السماء والأرض .. أنت قلت على لسان أبينا داود عبدك بوحى الروح القدس : لماذا ضجت الأمم وسعت الشعوب إلى الباطل ؟ .. تحالف حقا فى هذه المدينة هيرودس وبنطيوس بيلاطس والوثنيون وشعوب إسرائيل على عبدك القدوس يسوع الذى مسحته .

---

(١) العهد الجديد : منشورات دار المشرق – ١٩٨٥ – نقلا عن الترجمة الفرنسية المسكونية .

هب لعبيدك أن يعلنوا كلمتك .. باسطا يدك ليجرى الشفاء والآيات والأعاجيب باسم **عبدك القدوس يسوع** — سفر أعمال الرسل ٤ : ٢٤ — ٣٠ » .

● وما كان المسيح فى عقيدة بطرس إلا إنسانا كان الله معه — وليس حالا فيه كما زعم بعضهم — ومن ثَمّ صنع الله بيده كل تلك المعجزات . فذلك كان إعلان بطرس فى كل مناسبة :

« أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال : **يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم تعلمون** — سفر أعمال الرسل ٢ : ٢٢ » .

تلك هى عقيدة المسلم فى أنبياء الله ورسله وأنهم ليسوا أكثر من عباد مكرمين .

﴿ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٧ — ٢٨] .

وهى عقيدة يجدها الباحث المحايد فى اتفاق مع بعض نصوص الأسفار التى يؤمن بها اليهود والمسيحيون .

* *

٣ — من تعاليم الحياة اليومية

تحريم لحم الخنزير :

« كلم الرب موسى وهارون قائلا لهما .. هذه هى الحيوانات التى لا تأكلونها **الخنزير** .. هو نجس لكم . من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا — سفر اللاويين ١١ : ١ — ٨ » .

وأما الذين يأكلون لحم الخنزير فلهم العذاب والهلاك : « الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر .. الذين يقدسون ويطهرون أنفسهم فى الجنات . وراء

واحد فى الوسط **أكلين لحم الخنزير** والرجس والجرذ يفنون معا ، يقول الرب ٠ وأنا أجازى أعمالهم وأفكارهم – سفر أشعيا ٦٦ : ١٦ – ١٨ » ٠

قال المسيح لتابعيه : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ٠ فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه – إنجيل متى ٢٣ : ٢ – ٣ » ٠

هذا يعنى – هنا – تحريم لحم الخنزير على المؤمنين بالمسيح ٠

وفى القرآن :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخنزيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [سورة المائدة : ٣] ٠

*

تحريم الخمر والتنديد بشاربها :

« كلم الرب هارون قائلا : **خمرا ومسكرا لا تشرب** أنت وبنوك معك عند دخولك إلى خيمة الاجتماع لكى لا تموتوا ٠ فرضا دهريًّا فى أجيالكم ٠ وللتمييز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر ولتعليم بنى إسرائيل جميع الفرائض التى كلمهم الرب بها بيد موسى – سفر اللاويين ١٠ : ٨ – ١١ » ٠

« **الخمر مستهزئة ٠ المسكر عجاج ٠ ومن يترنح بهما فليس بحكيم** – سفر الأمثال ٢٠ : ١ » ٠

« **لمن الويل** ، **لمن الشقاوة** ، لمن المخاصمات ، لمن الكرب ، لمن الجروح بلا سبب ، لمن ازمهرار العينين : **للذين يدمنون الخمر** ، **الذين يدخلون فى طلب الشراب الممزوج** ٠ لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبا بها فى الكأس وساغت مرقرقة ٠ فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان – سفر الأمثال ٢٣ : ٢٩ – ٣٢ » ٠

وفى الإنجيل كان من علامات الطهر والأفضلية عند الله ليحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) أنه : « **خمرا ومسكرا لا يشرب** – إنجيل لوقا ١ : ١٥ » ٠

« الجسد يشتهى ضد الروح ٠٠ وأعمال الجسد ظاهرة التى هى : زنى ، عهارة ، نجاسة ، دعارة ، عبادة الأوثان ٠٠ قتل ، **سكر** ٠٠ إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله — الرسالة إلى غلاطية ٥ : ١٧ — ٢١ » ٠

وفى الإسلام لُعنت الخمر، واعتبر شربها إثما كبيرا يقام الحد على شاربها ٠ يقول الله فى القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ ، فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٩٠ — ٩١] ٠

*

مراعاة الأدب والحياء فى اللباس :

ففى اليهودية : « لا يكن متاع رجل على امرأة ، ولا يلبس رجل ثوب امرأة ، لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك — سفر التثنية ٢٢ : ٥ » ٠

وفى المسيحية : « النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل ، لا بضفائر أو ذهب أو لآلىء أو ملابس كثيرة الثمن — الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢ : ٩ » ٠

« كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شىء واحد بعينه ٠ إذ المرأة إن كانت **لا تتغطى فليقص شعرها** — الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١١ : ٥ — ٦ » ٠

« أيتها النساء : كن خاضعات لرجالكن ٠٠ ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب — الرسالة الأولى لبطرس ٣ : ١ — ٣ » ٠

ويقول الله فى القرآن مخاطبًا كل الناس :

﴿ يَا بَنِى آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا ، وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِى آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ،

إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[سورة الأعراف : ٢٦ – ٢٧] .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[سورة الأعراف : ٣١ – ٣٣] .

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ، وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ، وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[سورة النور : ٣٠ – ٣١] .

* *

أما بعد . .

لقد اتفقت تعاليم الأديان الثلاثة على مراعاة الحشمة في اللباس ، فما بال الدنيا وقد قامت في إحدى الدول التي ترفع شعار الحرية والإخاء والمساواة – ولم تقعد بعد – بسبب ارتداء فتاتين مسلمتين صغيرتين ، غطائين لرأسيهما ؟! .

*

تشديد العقوبة على جريمة الزنا :

هناك اتفاق تام بين اليهودية والمسيحية والإسلام على تشديد العقوبة على

جريمة الزنا وعلى كل الممارسات الجنسية الخاطئة ، مع تفاوت بينها فى درجات الشدة .

ففى اليهــودية : « **إذا زنى رجــل مع امرأة .. فإنه يقتل الزانى والزانية .. وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا** . إنهما يقتلان .. وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة . **بالنار يحرقونه** وإياهما لكى لا يكون رذيلة بينكم .

إذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عــورتها عرى ينبوعها وكشفت هى ينبوع دمها **يقطعان كلاهما من شعبهما** — سفر اللاويين ٢٠ : ١٠ — ١٨ » .

وفى المسيحية : شدد المسيح فى معنى الزنى ، فلم يجعله قاصراً على الفعل المادى المحسوس ، بل نقله إلى التصور المعنوى فقال :

« قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن . **وأما أنا فأقول لكم** : **إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه** . فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضاءك **ولا يلقى جسدك كله فى جهنم** . وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضاءك **ولا يلقى جسدك كله فى جهنم** — إنجيل متى ٥ — ٢٧ — ٣٠ » .

وقد حرمت المسيحية على الزناة أن يرثوا ملكوت الله ، وليس لهم بعد ذلك من قرار سوى العذاب الأبــدى فى جهــنم . فقد جاءوا ضمن قائمة الظالمين الذين « لا يرثون ملكوت الله .. **لا زناة ، ولا عبدة أوثان .. ولا مضاجعوا ذكور .. ولا سكيرون .. يرثون ملــكوت الله** — (١) كورنثوس ٦ : ٩ — ١٠ » .

وعقاب الزناة فى هذه الحياة ، هو ما قررته شريعة موسى أى القتل رجما . فذلك ما قرره المسيح فى قوله لمن آمــن به مــن بنى إســرائيل ولمن لم يؤمن به : « خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة

والفريسيون . **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه** . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون – إنجيل متى ٢٣ : ١ – ٣ » .

وأما **قصة المرأة الزانية** التى انفرد بها إنجيل يوحنا وقال فيها : « قدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت فى زنا . ولما أقاموهــا فى الوسـط قالوا له : يا معلم ، هذه المرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل . **وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم** . فماذا تقول أنت ؟ .. قال لهم : من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر .. فلما سمعوا خرجوا واحدا واحدا .. فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحدا سـوى المرأة قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك ؟ أما أدانك أحد . فقالت لا أحـد يا سيد . فقال لها يسوع ولا أنا أدينك . اذهبى ولا تخطئى – انجيل يوحنا ٨ : ٣ – ١١ » .

إن هذه القصة منحولة ولا وجود لها فى أقدم نسخ إنجيل يوحنا ولكنها أضيفت إليه فيما بعد . فهذا ما تقرره التراجم الحديثة . فلقد أنزلتها **الترجمة الإنجليزية القياسية المراجعة (R . S . V)** من المتن إلى الحاشية ، وذلك فى طبعاتها الأولى . لكنها أعيدت بعد ذلك إلى المتن – إرضاء للمحتجين الذين صدموا فى اعتبارها قصة مدسوسة ! – مع الإشارة فى الهامش إلى أنه ليس لها وجود فى أقدم النسخ وأصحها .

وتقول الترجمة الفرنسية المسكونية (T . O . B) :

« لقد وجد الجزء من ٧ : ٥٣ إلى ٨ : ١١ محذوفًا من النسخ الأقدم من إنجيل يوحنا ، كما أنه لا وجود له فى العديد من التراجم ؛ كما أن النص غير متفق عليه إذ له قراءات مختلفة ، إضافة إلى أنه لا يتفق وأسلوب يوحنا . ولهذا يمكن القول بأن هذا الجزء لم يكن ضمن إنجيل يوحنا الأصلى » .

وأهم من هذا كله أن المسيح كان قد أعلن فى بدء دعوته أنه ما جاء لينقض ناموس موسى والنبيين من بعده ، وأن « **زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس** – إنجيل لوقا ١٦ : ١٧ » .

ومن ثم لا يمكن أن يعطل المسيح ناموس موسى بترك المرأة الزانية بلا عقاب .

وفى الإسلام : نجد الزنا يعتبر من الكبائر ، وهى الخطايا التى تورد صاحبها الهلاك ، إلا أن يتوب . فالحق يقول :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٣ — ٧٠] .

ولقد تحددت العقوبة فى الدنيا كالآتى :

— إذا كان الخاطئ أعزب فالعقوبة هى الجلد :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾[سورة النور : ٢] .

— إذا كان الخاطئ محصنا — أى متزوجا — فالعقوبة هى الرجم وهى عقوبة قررتها السنة النبوية . فقد ثبت أن رسول الله ﷺ رجم ماعز الأسلمى والمرأة الغامدية ، بناء على اعتراف كل منهما ومجيئه إلى رسول الله يطلب التطهير من خطيئته ، ولقد حدث حين جاء ماعز مقرا بخطيئته أن أعرض عنه رسول الله . فتنحى تلقاء وجهه وقال : يا رسول الله . إنى زنيت . فأعرض عنه حتى كرر ذلك أربع مرات . فأخذ بعد ذلك يسأله لعله يبين أنها لم تكن عملية جنسية كاملة ، فيسقط عنه الحد . لكن الرجل أصر على موقفه . وكان لابد حينئذ من إقامة الحد عليه .

وحدث مثل ذلك للمرأة الغامدية . فحين آتت رسول الله مقرة بالزنا وهى حامل وقالت إنى حبلى من الزنا ، فقال لها : « **ارجعى حتى تضعى ما فى**

بطنك » . فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت . فأتى النبيّ ﷺ فقال : قد وضعت الغامدية . فقال الرسول : « **إذن لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه** » .

فقال رجل من الأنصار : إليّ إرضاعه ، يا نبى الله . فرجمها . وجدير بالذكر أنه إذا هرب المرجوم أثناء الرجم – بناء على إقراره – فيجب إيقاف العقوبة فورا ولا يجوز متابعته .

ويصح الرجوع عن الإقرار قبل التنفيذ ، ويترتب على ذلك إيقاف العقوبة .

كذلك يقام الحد – سواء كان جلدا أو رجما – بشهادة أربعة شهود عدول ، وإن يصفوا الزنى بما يؤكد وقوعه ، وليس مجرد اضطجاع رجل مع امرأة . فقد انعقد اجماع أئمة الفقه الأربعة أنه إذا جاء شاهد من الشهود وقال : « رأيتهما ينامان فى فراش واحد » فلا تكفى شهادته لإقامة الحد . وإذا تراجع أحد الشهود عن شهادته يوقف الحد .

ومن المبادئ العامة فى الإسلام ، فيما يتعلق بإقامة الحدود المقررة على الخطاة ، إنه :

١ – يجب التحرز تماما والتأنى وتلمُّس المعاذير والشبهات التى تجعل ضمير القاضى غير مستريح للحكم بإقامة الحد . وذلك لحديث رسول الله : « **ادرأوا الحدود بالشبهات** » .

٢ – من أخطأ وستره الله ، ولم يظهر خطيئته للناس ، فلا حد عليه . فليس من الإسلام تتبع عورات الناس والتجسس عليهم . فلقد قال رسول الله : « **من أصاب من هذه القاذورات شيئًا فليستتر بستر الله . فإنه من لم يبدلنا صفحته نقم عليه كتاب الله** » .

٣ – فى حالة إقامة حد الزنا ، بناء على اعتراف أحد الخاطئين – وليس بناء على شهادة الشهود الأربعة – فلا حدّ على الطرف الثانى الذى لم يعترف

بجرمه. فلقد روى أبو داود أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فاقر بانه زنى بامرأة سماها له ، **فبعث رسول الله ﷺ إلى المرأة فسألها عن ذلك ، فأنكرت ، فجلده وتركها** .

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١٧] .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١١٠] .

﴿ يُرِيدُ اللهُ أن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ، وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾[سورة النساء :٢٨] .

* *

٤ – البعث والجزاء فى الآخرة

لا تظهر عقيدة البعث والجزاء فى الآخرة – أو يوم الحساب – فى اليهودية كعقيدة محددة المعالم . فقد سقطت من أسفار موسى الخمسة وما تلاها من أسفار . ولم تبدأ الإشارة إليها إلا بعد موسى بأكثر من خمسة قرون ، كما نجده فى مثل هذه الأقوال :

« يفنى كل جند السموات وتلتف السموات كدرج وكل جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة – سفر أشعيا ٣٤ : ٤ » .

« كثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون : هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدى – سفر دانيال ١٢ : ٢ » .

ولقد استمرت عقيدة إنكار البعث والحساب سائدة بين قطاعات كبيرة من بنى إسرائيل حتى أنه بعد أن جاء المسيح بعد موسى بنحو ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، كان من خصومه الأقوياء طائفة تسمى الصدّوقيون ، يصفهم الإنجيل بقوله : « الذين يقولون ليس قيامة – إنجيل متى ٢٢ : ٢٣ » . ويقول فيهم سفر

أعمال الرسل أن : « الصدّوقيين يقولون أنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح ، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك – ٢٣ : ٨ » ٠

* *

ولما جاء المسيح فإنه أكد على عقيدة البعث والحساب – التى كان يؤمن بها قدماء المصريين وسجلوا ذلك بأهراماتهم – قبل مولد إسرائيل بأكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان ٠

ولقد بين المسيح أنه فى الآخرة سيمضى الناس فريقين :

« هؤلاء إلى عذاب أبدى ، والأبرار إلى حياة أبدية – إنجيل متى ٣٥ : ٤٦ » ٠

ثم ذكر المسيح شيئًا من عذاب الآخرة فقال : « إن أعثرتك يدك فاقطعها ، خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضى إلى جهنم ، إلى النار التى لا تطفأ ٠ حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ ٠٠ وإن أعثرتك عينك فاقلعهما ٠ خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار ٠ حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ – إنجيل مرقس ٩ : ٤٣ – ٤٨ » ٠

وكذلك ذكر المسيح شيئا من نعيم الآخرة فبين أن فيها خمرا وطعاما وشرابا ومنازل وأهلا أضعاف ما كان فى الدنيا : فقد قال لتلاميذه فى العشاء الأخير بعد أن : « أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم ٠ وقال لهم : الحق أقول لكم إنى لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديدا فى ملكوت الله – إنجيل مرقس ١٤ : ٢٣ – ٢٥ » ٠

ولقد وعد المسيح الذين اتبعوه وتحملوا المشاق والآلام من أجله أن تكون لهم فى الآخرة مئة ضعف من البيوت والنساء والأولاد وغيره ٠ فقد قال له بطرس : « ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم ٠٠ كل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أما

أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمى . يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية – إنجيل متى ١٩ : ٢٧ – ٢٩ » .

وقال المسيح أن فى الآخرة : « منازل كثيرة ، وإلا فإنى كنت قد قلت لكم أنا أمضى لأعد لكم مكانا – إنجيل يوحنا ١٤ : ٢ » .

وقال لتلاميذه أيضا فى العشاء الأخير: « أنتم الذين ثبتوا معى فى تجاربى أنا أجعل لكم ملكوتا لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى ، وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر – إنجيل لوقا ٢٢ : ١٨–٣٠ » .

وفى القرآن نجده يضــرب مثل الجنة ومثل النار بما عرفه الناس فى الدنيا فيقول :

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ، كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِى النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [سورة محمد : ١٥] .

﴿ يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ، وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ * إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ، قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٦٨ – ٧٨] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ [سورة الكهف : ١٠٧ – ١٠٨] .

﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [سورة ق : ٣٥] .

* * *

الفصل الثالث :

موجز لنقاط الاختلاف بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى

- الإله
- الأنبياء
- قضية صلب المسيح
- تحريف نصوص الأسفار
- نبوة محمد

موجز لنقاط الاختلاف
بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى

١ - الإلَه

يرفض المسلم كل قول ينسب لله تجسيدا أو تشبيها أو حلولا فى أشياء وما إلى ذلك من أوهام وضلالات ، كما يرفض كل حديث يصور الله وقد لحقت به عواطف الإنسان وانفعالاته وضعفه ، فكل ذلك باطل الأباطيل .

إن القاعدة الأصلية التى يقوم عليها فكر المسلم فى الإلَه الحق أنه واحد أحد صمد : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص : ٣ ، ٤] ، وأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورى : ١١] ، وأنه ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣] ، و ﴿ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٦] ، ﴿ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [سورة الروم : ٢٧] .

وفيما يلى بعض ما يرفضه الفكر الإسلامى مما نجده فى الأسفار خاصا بهذا الموضوع الخطير ، بل إنه أخطر موضوعات العقيدة على الإطلاق .

الراحة بعد خلق السموات والأرض :

تقول الأسفار : « فرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل . فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا - سفر التكوين ٢ : ٢ - ٣ » .

ولقد صحح الله هذا المفهوم فى القرآن فقال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [سورة ق : ٣٨] .

وفى صيغة استفهام استنكارى نقرأ قول الحق :

﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[سورة ق :١٥] .

*

الندم على خلق الإنسان وغيره !:

« ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم . فحـــزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه . فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنى حزنت أنى عملتهم – سفر التكوين ٦ : ٥ – ٧ » .

لكن القرآن يصحح المفاهيم حول كل عمليات الخلق فيقول :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الدخان : ٣٨ ، ٣٩] .

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [سورة القمر : ٤٩] .

﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ [سورة السجدة : ٧] .

﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [سورة الرعد : ٢] .

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الانعام : ٧٣] .

*

بلبلة ألسنة البشر ليتفرقوا فلا يتقدموا فى الحياة ! :

« وكانت الأرض كلها لسانا واحد .. وقال بعضهم لبعض هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء .. فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما . وقال الرب : هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم العمـــل . والآن لا يمتنـــع عليهـــم كل ما ينوون أن يعملوه . هلم ننزل ونبلبل هنـــاك لســـانهم حتى لا يسمع بعضهـــم لسان بعض . فبددهم الرب من هـــناك على وجه كل الأرض . فكفوا عن بنيان المدينة . لذلك دعى اسمها بابل . لأن الرب هناك بلبل لســـان كل الأرض – سفر التكوين ١١ : ١ – ٩ » .

لكن القرآن يعلِّم الناس جميعا أن اختلاف ألسنتهم كاختلاف ألوانهم ، إنما هو آية دالة على قدرة الله وبديع صنعه :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الروم : ٢٢] .

ويعلمنا القرآن أن الله يرضى عن تقدم الإنسان فى هذه الحياة ، إذ يقول : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية : ١٣] .

*

مصارعة إنسان والعجز عن التغلب عليه ! :

إنها حقا تصدم كل مسلم حين يقرأ هذا العنوان الفرعى فى الأسفار : يعقوب يصارع الله [١] !

تقول هذه الأسطورة : « بقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه .. وقال اطلقنى لأنه قد طلع الفجر . فقال (يعقوب) لا أطلقك إن لم تباركنى . فقال ما اسمك ؟ فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت .

فدعا يعقوب اسم المكان فنئيل قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيب بنفسى — سفر التكوين ٣٢ : ٢٤ — ٣٠ » .

ونجد فى القرآن ما يعزينا عن مثل تلك الأوهام ومثيلاتها كثير ، حين نقرأ قول الحق :

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [سورة الحج : ٧٤] .

*

---

(١) تقول الترجمة الفرنسية المسكونية ! Jacob Lutte avec Dieu .

الحلول فى الإنسان :

تلك عقيدة مستقاة من أساطير الأقدمين هنودًا ومصريين وأغريق وغيرهم ، حيث تصوروا أن آلهتهم تحل فى الإنسان بل وفى الحيوان والطير ، ولهذا عبدوا تلك المخلوقات وسجلوا ضلالاتهم هذه على معابدهم وآثارهم ٠

وها هو كاتب إنجيل يوحنا ينفرد - درن غيره من كتبة الأناجيل - بتقرير أن الله قد حل فى المسيح ، إذ ينسب إليه هذا القول :

« الآب الحال فى هو يعمل الأعمال ٠ صدقونى إنى فى الآب والآب فىَّ - إنجيل يوحنا ١٤ : ١٠ - ١١ » ٠

وفكرة الحلول هذه التى تسربت إلى الإنجيل الرابع قد جاءت من رسائل بولس الهللينستى التى كتبت قبله بأكثر من خمسين عاما ٠ فقد كتب يقول عن المسيح : « فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا - الرسالة إلى كولوسى ٢ : ٩ » ٠

إن القول بأن المسيح إلّه أو ابن إلّه وأنه الأقنوم الثانى من الثالوث [١] أو أن الله قد حل فيه ، كل ذلك قد تسرب إلى المسيحية من الديانات البشرية القديمة ٠ لقد وصف القرآن الذين يعتنقون مثل هذه الأفكار بأنهم يحاكون ما كان عليه قدامى الكافرين ، وذلك فى قوله :

﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ﴾ [سورة التوبة : ٣٠] ٠

يقول أدولف أرمان فى كتابه : « ديانة مصر القديمة » ، عند الحديث عن معتقدات المصريين القدماء : « اعتقد المصرى أن روح الإلّه تسكن الحيوان المقدس فى معبده ٠ وقد أعطى هذا الاعتقاد رجال الدين المتفقهين فيه فرصة طيبة لكى يضموا فى تعاليمهم هذه الحيوانات المقدسة ، فتمتعت العجول والتيوس والبقر والصقور والتماسيح والثعابين بقداسة لاشك فيها ٠٠ وانتهى الأمر بهم أنهم لم يكتفوا بجعل روح واحدة لكل إلّه ، بل زادوا العدد ٠ فمثلا رع كانت له سبعة أرواح ٠

---

(١) راجع الملحق رقم (١) فى نهاية الكتاب ٠

ولما كان الملك فى اعتقادهم ذا صفات إلٰهية ، لذلك وجب أن يكون له أرواح كثيرة . . ويكفينا أن نختتم هذه الكلمة بحقيقة أخرى وهى أن الإلٰه يمكن أن يكون بمثابة روح لإلٰه آخر . فمثلا آمون كان روح شو أو روح أوزوريس ، وعندما عانق أوزوريس إلٰه منديس الممثل على شكل التيس تكون من هذا العناق روحا مزدوجة ص ١١٢ – ١١٣ » .

إن الإسلام حازم وواضح تماما فى كل ما يتعلق بألوهية المسيح فالقرآن يقول :

﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِى إِسْرَائِيلَ ﴾

[سورة الزخرف : ٥٩] .

﴿ وَقَالُوْا اتَّخَذ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّاً * أن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً * وَمَا يَنْبَغِى لِلرَّحْمَنِ أنْ يَتَّخِذَ وَلَداً * إِن كُلُّ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِى الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَداًّ * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾

[سورة مريم : ٨٨ – ٩٥] .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَة ، وَمَا مِنْ إِلَٰه إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ، وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[سورة المائدة : ٧٢ – ٧٤] .

إن المسيح ليتبرأ من كل من يحاول الخلط بينه وبين الله أو ينسب له ألوهية على أى صورة من الصور . فلا يزال قوله الحق فى الأناجيل واضحا وضوح الشمس فى رابعة النهار وغير محتاج إلى شرح المفسرين وتأويل المتفيقهين :

« وفيما هو خارج إلى الطريق ركض له واحد وجثا له وسأله : أيها المعلم الصالح : ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ ٠

فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحًا ؟! ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله – أناجيل : مرقس١٠ : ١٧ – ١٨ ، متى ١٩ : ١٦ – ١٧ ، لوقا ١٨ : ١٨ – ١٩ » ٠

لقد أجمعت الأناجيل الثلاثة – التى لا تعرف شيئا عن الزعم بحلول الله فى المسيح – على هذه الحقيقة الأساسية التى هى المفتاح لحل الخلافات العقائدية بين المسيحيين أنفسهم وبينهم وبين المسلمين ٠ لقد كان ما قرره المسيح هنا متفقا تماما مع ما يقرره القرآن فى آيات كثيرة من أبرزها :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة النحل : ٦٠] ٠

﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الروم : ٢٧] ٠

* *

٢ – الأنبياء

إن المسلم ليرفض كل ما ألحق بسير الأنبياء من نقائص ومخازى فهم عباد الله المصطفون الأخيار ، جعلهم الله هداة للبشرية وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم والآخر ٠ فالقرآن يقول فيهم :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٥٨] ٠

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ، فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [سورة الأنعام : ٩٠] ٠

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ، وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٧٣] ٠

تلك هى عقيدة المسلم فى أنبياء الله ومن ثم فهو ينكر بل ويستنكر كل الخطايا والسقطات التى نقرؤها عنهم فى الأسفار ، ومن أمثلة ذلك ما يقال عن : **زنا لوط بابنتيه** (سفر التكوين ١٩ : ٣٠ – ٣٨) : وكان من ثمرته ابنا الزنا موآب وعمون ، ومن ذرية أولهما جاء داود !

*

خيانة موسى وهارون لله : وكان ذلك الاتهام الخطير هو آخر وحى تلقاه موسى قبل موته ، فقد كلم الرب موسى فى نفس ذلك اليوم قائلا ، اصعد إلى جبل عباريم .. وانظر أرض كنعان ... ومت فى الجبل الذى تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات أخوك هارون فى جبل هور وضم إلى قومه ، **لأنكما خنتمانى فى وسط بنى إسرائيل** .. إذ لم تقدسانى فى وسط بنى إسرائيل – سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ – ٥١ » .

لكن القرآن يبرئ موسى وهارون من هذه الخيانة وأمثالها فيقول :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى ، إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾

[سورة مريم : ٥١ – ٥٣] .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ * سَلاَمٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الصافات : ١١٤ – ١٢٢] .

*

زنا داود بامرأة عبده أوريا الحثى ثم تآمره عليه وقتله (سفر صموئيل الثانى ١١ : ١ – ٢٧] .

ويكفى أن نقرأ ما يقوله القرآن فى شأن داود حتى نقول كما علمنا القرآن فى مواجهة مثل تلك التهم الخطيرة أن نقول :

﴿ مَّا يَكُونُ لَنَا أن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور : ١٦] .

فالقرآن يقول فى داود : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ، وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ [سورة الإسراء : ٥٥] .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً ، يَا جِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ ، وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أن اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ ، وَاعْمَلُوا صَالِحًا ، إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ، وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ، وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ،اعْمَلُوا آل دَاوُدَ شُكْرًا،وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ ﴾[سورة سبأ : ١٠-١٣] .

*

كفر سليمان فى أواخر أيامه :

تقول الأسفار : « وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : موآبيات وعمونيات وأدوميات .. من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم .. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة .

وكانت له سبع مئة من النساء السيدات ، وثلاث مئة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخته أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب .. فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم .. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن . فغضب الرب على سليمان – سفر الملوك الأول ١١ : ١ – ٩ » .

لكن القرآن يذكر سليمان بالخير ويبرئه تماما من تهمة الكفر هذه :
﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ، نِعْمَ الْعَبْدُ ، إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص : ٣٠] ٠

﴿ وَاتَّبَعُوا مَاتَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ [سورة البقرة : ١٠٢] ٠

*

أنبياء بنى إسرائيل قبل المسيح كانوا لصوصا ! :

إن هذا ما ينسبه إنجيل يوحنا إلى المسيح حين يقول : « قال لهم يسوع أيضا الحق الحق أقول لكم أنى أنا باب الخراف ٠ **جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص** ٠ ولكن الخراف لم تسمع لهم ٠ أنا هو الباب إن دخل بى أحد فيخلص ٠٠ أنا هو الراعى الصالح — ١٠ : ٧ — ١١ » ٠

أما بعد ٠٠ إن هذا قليل من كثير مما يصدم المسلم حين يقرأ سير النبيين فى الأسفار ٠

* *

٣ — قضية صلب المسيح

يختلف الإسلام مع النصرانية فى قضية أساسية من قضايا الإيمان فى عقائد المسيحيين ، وهى القول بأن المسيح انتهت حياته بالصلب ، وأن ذلك كان ضرورة للتكفير عن خطايا البشر حسب نظرية بولس ٠

إن القرآن يقرر بوضوح عدم صلب المسيح ، وأن الله نجاه من محاولات اليهود قتله ، بأن رفعه إليه كما سبق أن رفع أنبياء وأبرار ، وإن الأمر كان فتنة اختلطت فيها حقيقة الأمر على كثير من الناس ٠

فالقرآن يقول :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [سورة النساء : ١٥٧ — ١٥٨] ٠

ويكفى أن نرجع إلى الأسفار فى هذه القضية لنعلم منها الآتى :

١ - حين شعر المسيح بالخطر يتهدده وهو فى الحديقة كانت صلاته حارة إلى الله كى ينجيه من الموت . فقد « بدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت . ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن . وقال يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك فأجزعنى هذه الكأس ولكن ليكن لا ما أريد بل ما تريد أنت . .

وظهر له ملاك من السماء يقويه . وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض - إنجيل مرقس١٤ : ٣٣ - ٣٦ ، لوقا ٢٢ : ٤٣ - ٤٤ » .

٢ - حين جاءت قوة الظلم وتقدم يهوذا الخائن ليدلهم على سيده ، « قال له يسوع : يا صاحب ، لماذا جئت ؟! - إنجيل متى ٢٦ : ٥٠ » .

٣ - وفى المحاكمة « اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين إن كنت المسيح فقل لنا .

فقال لهم : **إن قلت لكم لا تصدقون . وإن سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى** - إنجيل لوقا ٢٢ : ٦٦ - ٦٨ » .

وهنا وقفة : لنفرض جدلا أنه كان المسيح ، فإن هذا يعنى أنه كان يرجو إطلاق سراحه . وهذا ينفى ما نقرأه فى رسائل بولس وما اقتبس منها فى الأناجيل مثل القول بأن المسيح : « بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الشرير » أو أنه « بذل نفسه فدية لأجل الجميع » .

ومعنى ذلك أنه لو كان المسيح قد قتل حقًّا ، لكان ذلك رغما عنه . وبهذا تتعاظم خطيئة البشرية التى قتلته ظلماً وقهراً . ومن يُكفِّر عن تلك الخطيئة العظمى بعد ذلك ؟! .

وإذا افترضنا أنه ليس المسيح فإن هذا ما يفيده المضمون ، خاصة إذا علمنا أن الفقرة التالية لهذا هى قول ذلك الذى يستجوبونه : « منذ الآن يكون ابن الإنسان (المسيح) جالسا عن يمين قوة الله - إنجيل لوقا ٢٢ : ٦٩ » .

وهذا يقطع بأن الشخص الذى قبضوا عليه وحاكموه وصلبوه إنما كان شخصا آخر غير المسـيح ، وأنه رآه بعينى رأسه وقد صعد إلى السماء ، ولهذا قال : « منذ الآن » .

٤ – ولقد كانت آخر صرخة للمصلوب هى قوله : « الوى ، الوى ، لما شبقتنى ؟! . الذى تفسيره : إلٰهى ، إلٰهى ، لماذا تركتنى – إنجيل مرقس ١٥ : ٣٤ » .

لكن المسيح قرر فى الإنجيل أن الله معه ولن يتركه أبدا . وهذا ما يعتقده كل المؤمنين . فهو يقول : « الذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدى لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه – إنجيل يوحنا ٨ : ٢٩ » .

فمن المؤكد أن الذى أطلق صرخة اليأس تلك على الصليب إنما كان شخصاً آخر غير المسيح الذى أكد أن الله معه فى كل حين .

٥ – لقد تنبأ المسيح بنجاته من القتل – كما تنبأت المزامير كثيراً وكثيراً – فلا يزال بين أيدينا ما قاله المسيح فى تحد لليهود حين حاولوا اصطياده فى إحدى المرات . « فقد أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه فقال لهم يسوع : أنا معكم زمانا يسيراً بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى . **ستطلبوننى ولا تجدوننى ، حيث أكون أنا لا تقــدرون أنتم أن تأتوا** – إنجيل يوحـنا ٧ : ٣٢ – ٣٤ » .

لا نظن أحداً يشك فى وضوح هذا القول الذى يعنى أن اليهود حين يطلبون المسيح لقتله فلن يجدوه لأن الله سيحفظه بالرفع . ومن الطبيعى أن يقال أن السماء مكان يعجز اليهود عن الوصول إليه تعقبا للمسيح .

٦ – هذا ولقد اختلفت الأناجيل الأربعة فى عناصر قصة الصلب ويكفى أن نذكر أن العشاء الأخير كان حسب الثلاثة الأولى : متى ومرقس ولوقا هو عشاء الفصح ، وأما الإنجيل الرابع فقد جعله قبل الفصح بأيام . وقد ترتب على

هذا أن كان يوم الصلب حسب الثلاثة يوم الجمعة ، بينما هو حسب إنجيل يوحنا يوم الخميس – اليوم الذى ذبحت فيه خراف الفصح (إنجيل يوحنا ١٨ : ٢٨ ، ١٩ : ١٤] ٠

ولما كانت المقبرة التى وضع فيها جسد المصلوب قد وجدتها مريم المجدلية خالية صباح الأحد ، فإن هذا يعنى أن جسد ذلك المصلوب لم يدفن فى الأرض « ثلاثة أيام وثلاث ليال » حسبما هو شائع فى الأناجيل : متى ١٢ : ٤٠ ، ١٧ : ٢٣ – مرقس ٩ : ٣١ – لوقا ٩ : ٢٢ ٠ فالفترة بين يوم الجمعة يوم الصلب ، ويوم الأحد يوم القيامة لا تزيد عن : يوم واحد وليلتين ٠

أما بعد ٠٠ إن هذا قليل من كثير مما يبرهن على عدم صلب المسيح [١] ٠

* *

٤ – تحريف نصوص الأسفار

يعتقد المسلمون أن أسفار أهل الكتاب قد تعرض بعضها للفقد والنسيان ، كما تعرض البعض الآخر لتحريف وتبديل باعد بين النص الحديث والأصل القديم ٠

يقول القرآن فى شأن اليهود :

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ، وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ ٠ [سورة المائدة : ١٣] ٠

ويقول فى شأن النصارى :

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾[سورة المائدة : ١٤] ٠

---

(١) راجع الملاحق أرقام : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ بنهاية الكتاب ٠

ويقول فى بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى :

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٨] .

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[سورة البقرة : ٧٨ – ٧٩] .

*

والآن ماذا تقول الكنيسة وعلماء الكتاب المقدس فى هذا الموضوع الحيوى الخطير ؟ :

١ – أعلن مجمع الفاتيكان الأول (٦٩ – ١٨٧٠) أن الكتب القانونية التى يشتمل عليها الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد : « كتبت بإلهام من الروح القدس ،مؤلفها الله ، وأعطيت هكذا للكنيسة » .

٢ – وبعد نحو ٩٠ عاما عقد مجمع الفاتيكان الثانى (٦٢ – ١٩٦٥) . وقد أدرجت فى الوثيقة المسكونية الرابعة فقرة عن التنزيل تختص بالعهد القديم ، تقول : « تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله ومن هو الإنسان بما لا يقل عن معرفة الطريقة التى يتصرف بها الله فى عدله ورحمته مع الإنسان . **غير أن هذه الكتب تحتوى على نقائص وأباطيل** ، ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلَهى » .

٣ – تقول الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس (T . O . B) فيما يتعلق بنصوص أسفار العهد القديم تحت عنوان :

إفساد النصوص : Corruptions Textuelles

« لا شك .. أن هنالك عددا من النصوص المشوهة التى تفصل النص المسورى الأول عن النص الأصلى . فمثلا ، تقفز عين الناسخ من كلمة إلى تشبهها . وترد بعد بضعة أسطر ، مهملة كل ما يفصل بينهما . كما أن تكون

هناك أحرف كتبت كتابة رديئة فلا يحسن الناسخ قراءتها فيخلط بينها وبين غيرها .

وقد يدخل الناسخ فى النص الذى ينقله ، لكن فى مكان خاطئ ، تعليقا هامشيا يحتوى على قراءة مختلفة أو على شرح ما .

والجدير بالذكر أن بعض النساخ الأتقياء أقدموا ، بإدخال تصحيحات لاهوتية ، على تحسين بعض التعابير التى كانت تبدو لهم معرضة لتفسير عقائدى خطر » [١] .

٤ – كذلك تقول الترجمة الفرنسية المسكونية فيما يتعلق بنصوص أسفار العهد الجديد :

« إن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت ، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التى تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت ، مهما بذل فيها من الجهد ، بالموافقة التامة للمثال الذى أخذت عنه .

يضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحيانا ، عن حسن نية ، أن يصوبوا ما جاء فى مثالهم وبدا لهم أنه يحتوى أخطاء واضحة ، أو قلة دقة فى التعبير اللاهوتى ، وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ .

ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر فكان النص الذى وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل ظهرت فى عدد كبير من القراءات .

هدف أصحاب النقد الباطنى أن يوضحوا بجلاء نوع التدخل الذى قام به الناسخ والأسباب التى دعته إلى ذلك التدخل ، فيسهل بعد ذلك الارتقاء إلى القراءة القديمة التى تفرعت منها سائر الروايات المحرفة .

---

(١) نقلا عن : كتب الشريعة الخمسة – ص ٦٦ – دار المشرق – بيروت ، وذلك مع مراجعتها على النص الفرنسى .

ولا يرجى فى حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه » [١] .

إن هذا يكفى للحديث عن تحريف بعض نصوص الأسفار [٢] .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة ق : ٣٧] .

* *

٥ - نبوة محمد

يختلف أهل الكتاب - يهوداً ومسيحيين - مع المسلمين حول نبوة محمد . فكما ينكر اليهود إلى اليوم نبوة المسيح الذى ولد منذ ما يقرب من ألفى عام ، تتكرر نفس المواقف حيث تنكر كلا الطائفتين نبوة محمد الذى قام يدعو إلى الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان .

ولننظر ماذا تقول الأسفار فى هذا الموضوع .

*

المعيار الذى تقرره التوراة لصدق النبوة :

شرطان لابد منهما للحكم على صدق النبوة :

الأول - أن يدعو النبى إلى عبادة الله الواحد الأحد .

والثانى - أن تتحقق تنبؤات ذلك النبى فيما يتعلق بأحداث المستقبل .

وفى كل ذلك ليس للآيات والأعاجيب أى اعتبار إذا كان هناك نبى يدعو إلى غير توحيد الله ، فهو فى تلك الحال نبى كذاب جزاؤه القتل على رؤوس الأشهاد .

فبالنسبة للشرط الأول ، قال الرب لموسى ولبنى إسرائيل :

« إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة . ولو

---

(١) نقلا عن : العهد الجديد : ص ٧ - ١٠ - منشورات دار المشرق - بيروت .

(٢) راجع كتاب المؤلف : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس .

حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلا لنذهب وراء آلهة أخرى ٠٠ فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم ، لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم ٠ وإياه تعبدون وبه تلتصقون ٠

وذلك النبى أو الحاكم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم – سفر التثنية ١٣ : ١ – ٥ » ٠

وبالنسبة للشرط الثانى : قال الرب لموسى ولبنى إسرائيل :

« وإن قلت فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ٠ فما تكلم به النبى باسم الرب ٠ ولم يحدث ولم يصـر ، فهو الكـلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النـبى فلا تخف منه – سفر التثنية ١٨ : ٢١ – ٢٢ » ٠

ذلك هو المعيار العام للحكم على صدق النبوة ٠ وبتطبيق ذلك على نبوة محمد بن عبد الله نجد تحقق هذين الشرطين بكل بساطة ووضوح ٠

فالإسلام الذى دعا إليه محمد بن عبد الله قام أساسا على التوحيد الخالص وأنه لا إله إلا الله ٠ فتلك هى خاصيته الأساسية التى يعرف بها بين الجميع ٠

وبالنسبة لصدق تنبؤات المستقبل ، فذلك شىء حفل به القرآن ٠ ويكفينا فى هذا المجال أن نذكر نبوءة واحدة تتعلق بصراع القوى الكبرى فى عصر محمد ، إلا وهو التنبؤ بانتصار الروم على الفرس رغم ما لحق بهم من هزائم متوالية ، ولقد جاء ذلك فى سورة تعرف باسم سورة الروم ٠

يقول المؤرخ الانجليزى ستيفن رنسيمان : « فى ربيع سنة ٦١٤ دخل فلسطين القائد الفارسى شهر باراز فصار ينهب الأراضى ويحرق الكنائس أينما سار ٠٠ وفى ١٥ أبريل سنة ٦١٤ اقتحم بيت المقدس واستعد البطريرك زكريا لتسليم المدينة ليتجنب سفك الدماء غير أن السكان المسيحيين رفضوا الاستكانة إلى التسليم ٠ وفى ٥ مايو سنة ٦١٤ وبفضل مساعدة اليهود المقيمين داخل المدينة شق الفرس طريقهم إلى داخل المدينة فتلى ذلك من المناظر المريعة ما يجل عن الوصف ٠٠ وزحف الفرس على مصر بعد ثلاث سنوات (٦١٧) واضحوا سادتها خلال سنة واحدة ، وفى تلك الأثناء تقدمت جيوشهم شمالا حتى بلغت البوسفور ٠ على أن سقوط بيت المقدس فى أيدى الفرس كان صدمة

عنيفة للعالم المسيحى ، وما قام به اليهود من دور لم يجر نسيانه أو اغتفاره ، فاتخذت الحرب مع الفرس صفة الحرب المقدسة .

فلما صار هرقل آخر الأمر سنة ٦٢٢ قادرا على أن يتخذ خطة الهجوم على العدو نذر نفسه وجيشه لله . واستطاع هرقل آخر الأمر برغم ما جرى من تقلبات عديدة فى الأحداث وما اشتد من القلق واليأس فى أوقات عديدة ، أن ينزل الهزيمة الساحقة بالفرس » (١) .

لقد حزن المسلمون لهزائم الروم لما شعروا به نحوهم من روابط القربى فى الإيمان بالله والملائكة والكتاب والنبيين ، على حين فرح مشركو مكة وما حولها بانتصار الفرس .

يقول المستشرق كارل بروكلمان : « هلل المكيون لهذه الانتصارات الفارسية ولكن محمدا أعـلن اتباعه أن الهزيمة لابد أن تحل بالفرس فى وقت قريب » (٢) .

لقد استمرت الأمور تسير بعد نزول آية النبوءة هذه فى غير صالح الروم ، إذ استولى الفرس على مصر كما هددوا القسطنطينية قلب الأمبراطورية . ولكن ما أن جاء عام ٦٢٢ حتى بدأ الموقف يتحول لصالح الروم . واتخذ هرقل خطة مهاجمة الفرس فقام بثلاث حملات باهرة فى الاقليم الواقع من خلف جبال القوقاز .

« ثم لم يلبث أن انتزع من كسرى ثمرات النصر الذى تم له وتعقبه حتى عاصمة ملكه .

ومن ذلك الحين والامبراطورية الساسانية (الفارسية) تسير قدمًا نحو مصيرها النهائى المحتوم إلى الدمار » (٣) .

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية ج ١ : ص ٢٤ – ٢٧ .
(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية : ص ٩٠ .
(٣) موسوعة تاريخ العالم – ج ٢ : ص ٤٧٨ .

لقد انتهت هزائم الروم أمام الفرس وبدأت انتصارها ولما يمضى على نزول آية النبوءة هذه بضع سنين ، وهو العدد أقل من عشرة .

*

التنبؤ بحفظ النبى من محاولات قتله :

نزلت آية هذه النبوءة تقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ، وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٦٧] .

لقد قالت عائشة رضى الله عنها : كان النبى ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ، فأخرج النبى ﷺ رأسه من القبة وقال : أيها الناس انصرفوا ، فقد عصمنا الله عز وجل .

لقد اكتملت رسالة النبى فى حياته ، ومات ميتة طبيعية على فراشه بين أهله وصحابته ، فتحققت بذلك نبوءة القرآن تماما .

ذلك بعض ما يقال حين نأخذ ما تقوله التوراة معيارا للحكم على صدق النبوة . والآن ننتقل للحديث عن ملامح وصفات النبى المرتقب الذى بشرت به الأسفار .

- **من توراة موسى :**

هو نبى مثل موسى يجعل الله كلامه فى فمه ، فلا ينطق عن الهوى (سفر التثنية ١٨ : ١٨) .

وبمقارنة الخطوط العامة لحياة موسى ومحمد نجد الآتى :

كلاهما : ولد ومات ميتة طبيعية – وتزوج وأنجب ذرية – وعدَّد زوجاته وتعرض لنقد بسبب ذلك – وجاء بشريعة طبقت فى عهده – وقاد أمته فى حروب ضد الكفار .

- **من المزامير :**

« تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار .. اركب من أجل الحق والدعة

والبر فتريك يمينك مخاوف .. شعوب تحتك يسقطون .. بنات ملوك بين حظياتك – المزمور ٤٥ » .

ولقد تحقق هذا فى محمد رسول الله ﷺ وحروبه ضد الكفار والمشركين .

● من سفر أشعياء :

– يشتهر بأنه عبد الله ورسوله : « هو ذا عبدى الذى أعضده . مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » . – يسود الدين وتكتمل الشريعة التى جاء بها فى عهده ، لا من بعده : « لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته » .

– يعصمه الله من الناس : « امسك بيدك واحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للآمم » .

– يأتى من الصحــراء (البــرية) وينتـسب إلى إسماعيل بن إبراهيم : « لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التى سكنها قيدار » . وقيدار هذا هو الابن الثانى لإسماعيل (سفر التكوين ٢٥ : ١٣) .

– الشعب الذى ظهر فيه وانتصر عليه كان من عباد الأوثان : « يخزى خزيا المتكلون على المنحوتات ، القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا » .

– رجل حرب مقدام ينتصر على أعدائه : « كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه » .

– فى مناسك دينه هتاف وتسبيح من رؤوس الجبال : « من رؤوس الجبال ليهتفوا . ليعطوا للرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر » . وهذا يحدث فى موسم الحج حيث أهم مناسكه الوقوف بجبل عرفات .

● المعزِّى روح الحق :

تحدث المسيح عن رسول آت بعده سماه المعزى روح الحق وذلك فى إصحاحات ثلاث أرقامها ١٤ ، ١٥ ، ١٦ . كان مما قاله :

« أقول لكم الحق أنه خير لكم أن انطلق . لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزى .. ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة . وأما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى .

إن لى أمورا كثيرة لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية - إنجيل يوحنا١٦ : ٧ - ١٣ » .

ومن هنا يتضح عدة أمور منها :

- إن المسيح وروح الحق لا يجتمعان فى وقت واحد ، وأن الثانى لا يأتى إلا بعد رحيل الأول .

- وأن روح الحق كائن مستقل لا يتكلم من نفسه ، إنما ينقل إلى الناس الحق الذى يسمعه .

- وأنه سوف يتنبأ بأمور آتية فيما بعد .

ولما كان يوحنا كاتب هذا الكلام فى إنجيله قد بين فى رسالته الأولى أن روح الحق إنسان مؤمن (٤ : ٦) ، ولما كانت حاشية الترجمة الفرنسية المسكونية قد ذكرت أن روح الحق الذى تكلم عنه يوحنا فى إنجيله (١٤ : ١٧) هو ذاته الذى تكلم عنه فى رسالته الأولى ، ولما كان الروح القدس قد لازم المسيح منذ عمَّده يوحنا « واستقر عليه - إنجيل يوحنا ١ : ٣٢ » - من كل ما سبق يتبين أن روح الحق غير الروح القدس .

وإذا كان كاتب هذا الإنجيل قد ذكر روح الحق ثلاث مرات (فى ١٤ : ١٧ ، ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ١٣) ، بينما ذكر الروح القدس مرة واحدة (فى ١٤ : ٢٦) فإن هذا يعتبر خطأ تسرب إلى النسخ المتداولة من هذا الإنجيل .

ويؤكد ذلك أن هناك مخطوطة سريانية شهيرة اكتشفها اجنيس لويس عام ١٨١٢ فى دير سيناء ، كتبت فى القرن الرابع أو الخامس ، وهى تذكر الروح فقط وليس الروح القدس .

مما سبق جميعه يتبين أن روح الحق الذى تحدث عنه المسيح إنما هو

إنسان رسول يأتى بعده ، ويبكت العالم على أنه لم يؤمن بالمسيح الإيمان الحق ، أى أنه عبد الله ورسوله . وأن هذا الرسول المرتقب ليس إلا النبى الذى كان ينتظره بنو إسرائيل كأحد المنتظرين الثلاثة على أيام يوحنا المعمدان(يوحنا ١ : ٢١) .

وأخيرا فإن هذا النبى المرتقب سوف يخبر ببعض أحداث المستقبل . ولقد عرضنا سلفا بعض تنبؤات محمد رسول الله ، المسجلة فى القرآن ، وقد تحققت فى عالم الواقع ، ولا شك أن الواقع هو خير برهان .

وإذا كان المسيح قد قال إنه سيبقى فى الناس إلى الأبد ، فإن هذا يتمشى مع لغة الأسفار التى عندما تتحدث أحيانا عن رسل الله إلى الناس ، فإنها تعنى كتب الله التى جاء بها هؤلاء الرسل إلى الناس . وهذا ما تبينه قصة « الغنى ولعازر » التى ذكرها إنجيل لوقا (١٦ : ١٩ — ٣١) ، إذ عندما قال الغنى لأبينا إبراهيم : « أسألك إذا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبى لأن لى خمسة أخوة حتى يشهد لهم لكيلا يأتواهم أيضا إلى موضع العذاب هذا . قال له إبراهيم : عندهم موسى والأنبياء » .

فالمقصود بهذه العبارة : عندهم كتب موسى وكتب الأنبياء . وعلى ذلك يكون المقصود من قول المسيح أن روح الحق سيكون « معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد ١٤ — ١٦ » ، هو أن الكتاب الذى سيأتى به ذلك الرسول الذى يعقب المسيح سيبقى محفوظا إلى الأبد . وهذا لا يتأتى إلا إذا تكفل الله — سبحانه — بحفظه . فلقد أثبت الواقع إن كثيرا ممن استحفظوا على كتب الله السابقة كانوا دون المستوى المطلوب .

ولهــــذا قال الله فى القــرآن : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ، تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[سورة فصلت : ٤١ ، ٤٢] .

* * *

الفصل الرابع

الدين والناس والحياة

الغاية والوسيلة :

ماذا يريد الإنسان فى هذه الحياة ... ؟ :

إنه يريد – أولا – تحقيق مطالبه الفطرية والغريزية ...

ثم هو يريد الأمن والسلام والحرية ، والفرح ، والمتعة ، والحياة المستمرة ...

إنه – باختصار – يريد السعادة الأبدية .

وهو بالطبع لا يريد مضادات السعادة الأبدية من أحزان وآلام وموت وعذاب ...

إن الإنسان لا يريد الشقاء .

والمؤمنون – كبشر – ليسوا خروجا عن هذه القاعدة ، فهم يبحثون عن السعادة ويسعون جاهدين من أجلها ، وإن اختلفت مفاهيمها لديهم – فى بعض الأحيان – عن تلك التى يسعى من أجلها غيرهم .

وتحدثنا الكتب المقدسة عما يسعد الإنسان ويشقيه ، فتعده بالأولى إذا سار مع الله ، وتوعده بالثانية إذا تمرد على المنهج الإلهى ، وجعل الشيطان له قرينا .

* *

ونتبين من التوراة مطالب السعادة التى يرجوها الإسرائيليون ، وذلك من أقوال الرب التى جاء بها موسى :

« إذا سلكتم فى فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتم بها : أعطى مطركم

فى حينه ، وتعطى الأرض غلتها ٠٠ فتأكلون خبزكم وتسكنون فى أرضكم آمنين ٠٠ وتطردون أعداءكم بالسيف ٠٠ والتفت إليكم وأثمركم وأفى ميثاقى معكم ٠٠ وأكون لكم إلٰها وتكونون لى شعبا – لاويين ٢٦ : ٣ – ١٢ » ٠

كما تحدد لنا التوراة عناصر الشقاء التى يحذرها الإسرائيليون ، من قول الرب :

« لكن إن لم تسمعوا لى ، ولم تعملوا كل هذه الوصايا ، وإن رفضتم فرائضى ، وكرهت أنفسكم أحكامى ٠٠ فإنى أعمل هذه بكم : أسلط عليكم رعبا وسلا وحمى تفنى العينين وتتلف النفس ، وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم واجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم ٠٠ وأصير سماءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس ٠٠ وأصير مدنكم خربة ٠٠ وأذريكم بين الأمم ، وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة ٠٠ والباقون منكم ألقى الجبانة فى قلوبهم فى أرض أعدائهم ٠٠ فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم – لاويين ٢٦ : ١٤ – ٣٨ » ٠

ومن هنا نتبين أن السعادة والشقاء فى دين الإسرائيليين – وهو ما اصطلح على تسميته باليهودية – إنما هى أمور تتعلق بالحياة الدنيا ٠

فاليهودى لا يرجو إلا نعيم الدنيا ، وهو لا يحذر إلا شقاءها ٠

* *

أما الإنجيل ، فلا ترجى فيه السعادة إلا فى الحياة الآخرة ، فلقد قال المسيح فى موعظته الشهير :

« طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله ٠ طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون ، طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون – لوقا ٦ : ٢٠ – ٢١ » ٠

« لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ ٠٠ بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ٠ متى ٦ : ١٩ – ٢٠ » ٠

كذلك لا يحذر الإنسان شقاء إلا شقاء الآخرة :

« إن أعثرتك يدك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضى إلى جهنم إلى النار التى لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ .

وإن أعثرتك رجلك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتطرح فى جهنم فى النار التى لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ .

وإن أعثرتك عينك فاقلعها . خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ — مرقس ٩ : ٤٣ — ٤٨ » .

ويذكر الإنجيل بوضوح على لسان المسيح ، أنه محال الجمع بين نعيمى الدنيا والآخرة . ولذلك كانت حملته شديدة على الأغنياء وأصحاب الممتلكات الدنيوية ، إذ اعتبرهم قد استوفوا نعيمهم فى الدنيا ، ولم يبق للأغلبية الساحقة منهم — إن لم يكونوا جميعهم — سوى عذاب الآخرة :

« لا يقدر أحد أن يخدم سيدين .. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال .

لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون — متى ٦ : ٢٤ — ٢٥ » .

« ما أعسر دخول ذوى الأملاك إلى ملكوت الله .. مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله — مرقس ١٠ : ٢٣ — ٢٥ » .

* *

وأما فى القرآن ، فيستطيع المسلم أن يحصل على السعادة فى الدنيا والآخرة :

﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ *

وَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ، وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ [البقرة: ٢٠٠ – ٢٠١] ٠

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ [الاعراف : ٣٢] ٠

ولقد جمع إبراهيم أبو الأنبياء بين خيرى الدنيا والآخرة ، إذ قال الله فيه ٠

﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ، وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِى الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِى الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٧] ٠

والإسلام يحث المسلم على السعى من أجل الغنى وكثرة المال ، يطلبه بالطرق المشروعة وينفق منه فى أعمال الخير المشروعة ٠ فيسعد دنيا وأخرى ويسعد الآخرين :

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِى الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيراً وَسَعَةً ﴾[النساء : ١٠٠] ٠

﴿ فَضَّلَ اللهُ المجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى ﴾ [النساء : ٩٥] ٠

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِالْلَيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٤] ٠

﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ، هَلْ يَسْتَوُونَ ، الحَمْدُ للهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٧٥] ٠

ولقد جعل الله طاعته وسيلة للحياة السعيدة بأموالها الوفيرة وإمكاناتها المتنوعة ٠ فكان قول نوح ٠ وغير من المرسلين – لمن أرسل إليهم :

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾ [نوح : ١٠ – ١٢] ٠

وكان قول هود لقومه عاد :

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود : ٥٢] .

ولقد استعاذ سيدنا رسول الله ﷺ من الفقر وجعله قرينا للكفر ، فقال : « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر » (١) .

وقال : « كاد الفقر أن يكون كفرا » (٢) .

وقال : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

فاليد العليا التى تعطى خير من اليد السفلى التى تأخذ الصدقة أو العطية .

وقال لسعد بن أبى وقاص : « إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس فى أيديهم » (٣) .

*

وعلى المسلم أن يقيم علاقات متوازنة بين مطالب الدنيا والآخرة كل على قدره ، فيحصل بذلك على السعادة فيهما ، ولذلك سجل القرآن الكريم هذا القول الحكيم :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾

[القصص : ٧٧] .

ولم يكلف المؤمنون بالله أن يعذبوا أنفسهم فى الدنيا على أن يعوضوا عن ذلك فى الآخرة ، فلهم أن يعملوا لسعادتهم فى الدنيا بجانب عملهم لسعادة الآخرة :

---

(١) رواه أبو داود وغيره .
(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس .
(٣) رواه البخارى .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا واتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الاعراف : ٩٦] ٠

*

وحين يتمرد الإنسان على منهج الله فعليه ان يتوقع الشقاء ، لا فى الآخرة فحسب بل فى الدنيا كذلك :

﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم : ٤١] ٠

﴿ إنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ان تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [النور : ١٩] ٠

﴿ فَإِنَ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ، وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِبْهُمُ اللهُ عَذَابًا ألِيمًا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [التوبة : ٧٤] ٠

هذا — ولما كانت الحياة الآخرة حـياة الأبد ، وكانت الحياة الدنيا قصيرة فانية ، كان على المؤمن العاقل ان يوجه همه إلى الآخرة وأن يستخدم الدنيا وسيلة تعينه على تحقيق سعادته فى الآخرة ٠ من أجل ذلك كان على المسلم ان يعترف بسعادة الدنيا والآخرة ، ولكن عليه ان يوثر ما فى الآخرة على الدنيا ، وعليه كذلك أن يعترف بشـقاء الدنيا والآخـرة ، إلا أن ما فى الآخرة أشد واقسى :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى * وآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * فإِنَّ الجَحِيمَ هِىَ المأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَـوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِىَ المأْوَى ﴾ [النازعات : ٣٧ — ٤١] ٠

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] ٠

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الانعام : ٨٢] ٠

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ ، وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٧] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا، وَعْدَ اللهِ حَقًّا ، وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [لقمان : ٨ ، ٩] .

* *

وخلاصة القول فى النظر إلى سعادة الإنسان وشقائه ، إنها فى اليهودية دنيوية بحتة ، وهى فى المسيحية أخروية فحسب ، بينما هى فى الإسلام تجمع بين هذا وذاك مع ترجيح ما فى الآخرة على ما فى الدنيا .

* * *

حـــدود الرسالة

حدود رسالة موسى :

ولد موسى من أبوين إسرائيليين ، وتربى فى قصـر فرعون ، ونشأ بين المصريين . وفى هذا يقول سفر أعمال الرسل : « تهذب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدرا فى الأقوال والأعمال ولما كملت له مدة أربعين سنة خطر على باله أن يفتقد إخوته بنى إسرائيل – ٧ : ٢٢ – ٢٣ » .

لقد اضطـرته الـظروف أن يـهرب إلى أرض مـدين – بعد أن قتـل مـصريا – ، وهناك تزوج وأنجب ذرية . « وظهـر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عُلَّيقة .

فنظر وإذا العليقه تتوقد بالنار .. فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم .. فلما رأى الرب أنه مال ، ناداه الله من وسط العليقة .. ثم قال : إنا إله أبيك ، إله إبراهيم وإله إسحاق وإلّه يعقوب .. قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم .. فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر . خروج ٣ : ٢ – ١٠ » .

وهكذا كانت رسالة موسى إلى بنى إسرائيل ، وبنى إسرائيل وحدهم دون سواهم . وهكذا تختص الديانة اليهودية بالقبيلة الإسرائيلية وحدها دون سواها .

ولقد أقام الله لهم أنبياء من بعد موسى يهدوهم إلى طريق الله ويقيمون فيهم التوراة ، ولكنهم عبر العصور كانوا الشعب المتمرد والأمة العاصية . فها هو النبى أشعياء الذى جاء بعد موسى بنحو خمسة قرون ينقل لهم وحى الرب قائلا :

« الرب يتكلم : ربيت بنين ونشأتهم . أما هم فعصوا علىّ . الثور يعرف قانيه ، والحمار معلف صاحبه . أما إسرائيل فلا يـعرف . شعـبى لا يفهم .

وبل للأمة الخاطئة ، الشعب الثقيل الإثم ، نسل فاعلى الشر ، أولاد مفسدين . تركوا الرب ، استهانوا بقدّوس إسرائيل ، ارتدوا إلى وراء .. تزدادون زيغانا . كل الرأس مريض وكل القلب سقيم – أشعياء ١ : ٢ – ٥ » .

* *

حدود رسالة المسيح :

جاء المسيح رسولاً إلى بنى إسرائيل وإلى بنى إسرائيل وحدهم دون سواهم . وفى هذا تقول الأسفار المسيحية :

١ – قبل أن تحمل مريم العذراء بابنها المسيح ، كانت بشارة الملاك إليها تبين أن رسالة المسيح تختص بالشعب الإسرائيلى فقط ، إذ قال لها :

« ستحبلين وتلدين ابنا .. يعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه . **ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد** ، ولا يكون لملكه نهاية – لوقا ١ : ٣١ – ٣٣ » ومن المعلوم أن المسيح لم يملك على بيت إسرائيل يوما واحدا ، لأن مملكته لا تعنى سوى رسالته وسلطانه الروحى . فقد قال بوضوح : « **مملكتى ليست من هذا العالم** – يوحنا ١٨ : ٣٦ » .

« وأما يسوع ، فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا **ويختطفوه ليجعلوه ملكا ، انصرف أيضا إلى الجبل وحده** – يوحنا ٦ : ١٥ » .

٢ – ولقد حدد المسيح لنفسه ولتلاميذه ، مجال عمله ودائرة التبشير التى ينبغى التجول فيها ، فبين بكل وضوح أن رسالته تختص بالشعب الإسرائيلى فقط ، فقال قولته الشهيرة : « **لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة** – متى ١٥ : ٢٤ » .

وكان ذلك هو أمره المؤكد إلى تلاميذه : « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : **إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إســـرائيل الضالة** – متى ١٠ : ٥ – ٦ » ومن الملاحظ أن المسيح قد أخرج السامريين من دائرة عمله ، رغم أنهم

يؤمنون بموسى والتوراة ، كما سبق أن أخرج الأميين الذين لا يؤمنون بموسى والتوراة ٠

٣ – وإذا ما انقضت هذه الحياة ، ثم جاء يوم القيامة ، فإن دينونة المسيح وتلاميذه تنحصر فى أسباط إسرائيل الاثنى عشر ٠ فلقد سأله بطرس : « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد ، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده ، **تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر** – متى ١٩ : ٢٧ – ٢٨ » ورغم هذا الوضوح فى تحديد دائرة التبشير المسيحى الحقيقى ، فإننا نجد إنجيل مرقس ينسب للمسيح قوله لتلاميذه ، كتعليم أخير : « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها – مرقس ١٦ : ١٥ » ونسب إليه مثل ذلك فى خاتمة إنجيل متى (٢٨ : ١٩) ، وكذلك إنجيل لوقا (٢٤ : ٤٧) ٠

إن حقيقة هذه الأقوال التى تتحدث عن تبشير العالم بالإنجيل تتضح حين نعلم الآتى :

إن خاتمة إنجيل مرقس التى تتكلم عن ظهور المسيح – الأعداد من ٩ إلى ٢٠ ، والتى تشتمل على العدد ١٥ الذى يتكلم عن تبشير العالم بالإنجيل – ليست من عمل مرقس كاتب ذلك الإنجيل ، ولكنها إضافات أدخلت إليه حوالى عام ١٨٠ م ، أى بعد أن سطر مرقس إنجيله بنحو ١٢٠ عاما ٠

يقول نينهام فى تفسيره لإنجيل مرقس : « إنه على الرغم من أن هذه الأعداد (٩ – ٢٠) تظهر فى أغلب النسخ الموجودة لدينا من إنجيل مرقس (مثل نسخة الملك جيمس وغيرها) إلا أن **الترجمة القياسية المراجعة** مصيبة تماما فى اعتبارها غير شرعية ، منزلة إياها من النص إلى الهامش ٠٠ إن هذه الفقرة لا يمكن تحديد تاريخها بالضبط ، ويمكن القول بأنها أصبحت تقبل كجزء من إنجيل مرقس حوالى عام ١٨٠ م »[١] ٠

(1) D . Nineham : Saint Mark . PP . 449 - 450.

وبالنسبة لما جاء فى خاتمة إنجيل متى (٢٨ : ١٩) من حديث عن التبشير بالإنجيل بين جميع الأمم ، فإن العلماء يشكون فيها لأسباب يذكر منها العالم الألمانى الكبير ادولف هرنك : « لم يرد إلا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ، ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئًا عن هذا .

وأن صيغة التثليث هذه (التى تقول : عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس — وهى الشطر الثانى من العدد ١٩) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل ، وهو الشىء الذى كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا »[١] .

وبالنسبة لما جاء فى خاتمة إنجيل لوقا عن تبشير جميع الأمم ، فإن القارئ يستطيع الحكم على مصداقية الفقرة التى تشتمل على ذلك بمجرد قراءتها ، فهى تنسب للمسيح قوله : « كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى **اليوم الثالث** . وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا **لجميع الأمم** مبتدئا من أورشليم — ٢٤ : ٤٦ — ٤٧ » .

ومن المعلوم — حسب روايات الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا ، أن المصلوب علق على الصليب **يوم الجمعة** ، ووجدت المقبرة خالية **فجر الأحد** . وبالحساب البسيط يتبين انه لم يدفن « **فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال** » ، حسب النبوءة التى أوردها متى فى١٢ : ٤٠ ، وإنما كانت مدة الدفن — حسب قول الأناجيل : يوم واحد ، وليلتان ، على أحسن الفروض . وبذلك تكون مصداقية الحديث عن تبشير جميع الأمم بالإنجيل ، مساوية تماما لمصداقية الحديث عن القيامة فى اليوم الثالث، وهو شىء لا يتفق وأبسط الحسابات ولهذا لا توجد مصداقية لهذه الأقوال وما شابهها .

*

(1) A . Harnack : HISTORY OF DOGMA , vol . I , p . 79 .

بهذا يتبين من دراسة الأناجيل أن رسالة المسيح خاصة « بخراف بيت إسرائيل الضالة » ولا غير .

* *

هذا – وحين نتتبع النشاط التبشيرى لتلاميذ المسيح ، **بعد رفعه** ، **نجده منحصرا فى اليهود** . أن هذا ما ينطق به **سفر أعمال الرسل** قبل دخول بولس مجتمع التلاميذ . ومن أمثلة ذلك :

« أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس ، فاجتازوا إلى فينيقية وقبرس وأنطاكية ، **وهم لا يكلمون أحدا بالكلمة إلا اليهود فقط** – أعمال الرسل ١١ : ١٩ » .

« فهذان (برنابا وبولس) سافرا فى البحر إلى قبرس . ولما صارا فى سلاميس **ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود** – أعمال الرسل ١٣ : ٤ – ٥ » .

« أتيا (بولس وسيلا) إلى تسالونيكى حيث **كان مجمع اليهود** ، **فدخل بولس إليهم حسب عادته** ، **وكان يحاجهم ثلاث سبوت من الكتب** – أعمال الرسل ١٧ : ١٠ – ١٢ » .

ولما يئس بولس من التبشير بين اليهود **خراف بيت إسرائيل الضالة** – **فقد** فضل أن ينتقل للتبشير بين الأمم الأخرى ، **بدافع من نفسه** . **فقد** كان « يشهد لليهود بالمسيح يسوع ، وإذ كانوا يقاومون ويجدفون ، نفض ثيابه وقال لهم : دمكم على رؤوسكم . انا برئ . **من الآن أذهب إلى الأمم** – أعمال الرسل ١٨ : ٥ – ٦ » .

وبهذا يتبين أيضا أن تلاميذ المسيح مارسوا التبشير بين **اليهود فقط** ، حتى جاء بولس الذى خرج بالمسيحية إلى العالم ، مخالفا قول المسيح : « **ما جئت إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة** » .

ويترتب على ما سبق أن تعاليم المسيح ومواعظه ، وحتى تشريعاته – إن صح هذا التعبير – لابد أن توجه إلى الإسرائيليين ، ووفق مفاهيم إسرائيلية ، ولا علاقة لها بالرومان ، حكام فلسطين آنذاك ، أو القانون الرومانى .

* * *

المسيح لم يأت بشريعة جديدة :

لقد أعلن المسيح فى مستهل دعوته الإطار العام لتعاليمه ، فقال مخاطبا الجموع التى تبعته ووقفت تستمع إليه من بنى إسرائيل :

« **لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل** . فإنى الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا ، يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات – متى ٥ : ١٧ – ١٩ » .

وفى نهاية دعوته ، دعا المسيح تابعيه وكل بنى إسرائيل أن يتمسكوا بكل ما يأمرهم به الحفاظ على شريعة موسى من كتبة وفريسيين ، وفى هذا يقول الإنجيل :

« **حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا** : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه** . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون – متى ٢٣ : ١ – ٣ » .

وبين بداية دعوة المسيح ونهايتها ، نجده فى كل حين مرتبطا تماما بناموس موسى ، حريصا عليه ، داعيا إلى الاستمساك به ، بدءاً من الوصايا حتى أدق تفاصيل الشريعة اليهودية .

لقد تقدم إليه واحد قائلا : « أيها المعلم الصالح ، أى صلاح عمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ .

فقال له : لماذا تدعونى صالحا ! ليس أحد صالحا إلا واحد ، وهو الله .

ولكن أن أردت أن تدخل الحياة ، فاحفظ الوصايا .

قال له : أية الوصايا ؟ .

فقال يسوع : لا تقتل • لا تزن • لا تسرق • لا تشهد بالزور • أكرم أباك وأمك ، وأحب قريبك كنفسك – متى ١٩ : ١٦ – ١٩ » •

وحين شفا ابرصا قال له : « اذهب أر نفسك للكاهن ،وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهاة لهم – مرقس ١ : ٤٤ » •

« وقال له واحد من الجمع : يا معلم ، قل لأخى أن يقاسمنى الميراث •

فقال له : يا إنسان ، من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ! – لوقا ١٢ : ١٣ – ١٤ » •

من هذا – وغيره – يتبين أن المسيح لم يأت بشريعة جديدة ، وإنما جاء ليحافظ على شريعة موسى وتعاليم النبيين من بعده ، ويدعو بنى إسرائيل إلى السمو الأخلاقى والتخفيف من الماديات • فإذا كانت شريعة موسى تسمح بالقصاص ، وهذا حق وعدل ، فالأفضل منه ولا شك العفو والتسامح ••• وهكذا •

*

لكنا نجد فى الأناجيل تشريعات تُنسَب للمسيح ، تناقض تشريعات موسى وتهدمها من أساسها •

إن ناموس موسى يسمح بالطلاق ، ويجعله حقا مقصورا على الزوج ، دون الزوجة • وفى هذا يقول :

« إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شىء ، **وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته** ، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر •

فإن أبغضها الرجل الأخير ، **وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته** أو إذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة ، لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة – تثنية ٢٤ : ١–٤ » •

فهذا إنجيل مرقس ينسب للمسيح تعليما يقول فيها للفريسيين الذين حاولوا استدراجه والإيقاع به :

« من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها . وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى – ١٠ : ١١ – ١٢ » .

ولقد ورد هذا القول فى إنجيل متى بصيغة مغايرة مع التكرار فى موضعين مختلفين : الأول : فى موعظة الجبل ، فى ٥ : ٣١ – ٣٢ ، والثانى : فى موضع الاستدراج من الفريسيين ، فى ١٩ : ٩ .

فهنا نجد الطلاق مسموحا به فى حالة واحدة ، هى حالة ارتكاب الزوجة – **وليس الزوج** – جريمة الزنا ، فقال فى الإصحاح رقم ٥ : « إن من طلق امرأته **إلا لعلة الزنا – يجعلها تزنى** . ومن يتزوج مطلقة فأنى يزنى » .

ثم جاء هذا القول بصيغة مغايرة فى الإصحاح رقم ١٩ ، حيث سكت عن أن طلاق الرجل امرأته ، إلا لعلة الزنا ، يجعلها تزنى ، واستبدل ذلك بالحديث عن الزوج الذى يطلق امرأته ويتزوج بأخرى ، فقال :

« إن من طلق امرأته **إلا بسبب الزنا** وتزوج بأخرى يزنى . والذى يتزوج بمطلقة يزنى » .

وقد اتفق لوقا (١٦ : ١٨) مع مرقس ومتى فى أشياء ، وخالفهما فى أشياء ... فهو قد اتفق مع مرقس فى أن : « كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى » .

واتفق مع متى فى أن « كل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى » ، خلافا لمرقس الذى لم يذكر شيئا من هذا .

لقد نسب كتبة الأناجيل للمسيح أقوالا متناقضة مثل قوله :

« **زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس . كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى . وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى** – لوقا ١٦ : ١٧ – ١٨ » .

ففى الشطر الأول من هذا القول نجد المسيح يؤكد على التمسك بالناموس واستحالة نقض تعاليمه ؛ بينما هو ينقض الناموس فى الشطر الأخير من قوله وذلك بمنع الطلاق الذى يسمح به الناموس .

يقول **جورج كيرد** فى تفسيره لإنجيل لوقا : « إن الكلمة التى ترجمت (نقطة) تعنى حقيقة خطا دقيقا أو ذيلا زخرفيا فى أعلى حرف الكتاب أو أدناه . وحين يقال إنه لا يمكن إلغاء الذيل الزخرفى لحروف الناموس ، فإن هذا يعنى أن كل الناموس ، كلمة كلمة ، وحرفا حرفا ، بكل دقائقه وزخارفه العبرية ، **تبقى سارية المفعول إلى الأبد . أن هذا يمكن أن يقوله أى حبر ، لكنا لا نستطيع تصوره على شفتى يسوع ، وخاصة فى ضوء الواقع ، إذ أن العبارة التالية لهذا القول تتضمن تغييرا فى ناموس موسى خاصا بالطلاق . . إن ما** ذكره مرقس فى ١٠ : ١ - ١٢ ، يساعدنا على إدراك **أن يسوع لم يكن يشرع ؛ لكنه كان يشير إلى المعايير الأخلاقية العليا** التى تصبح فى مقدور أولئك الذين يعيشون بنعمة الملكوت وقدرته .

لقد قال يسوع إن موسى سمح بالطلاق بسبب قساوة قلوبكم : **فحيثما** تكون قساوة القلب تنحل الزيجات ، **ويجب أن يحمى الطلاق المجتمع من شر أكبر** . . ولكن ، هناك فقط فى الملكوت ، حيث يوجد الشفاء من قساوة القلب ، يصبح المثل الأعلى قابلا للتطبيق » (١) .

وهكذا يتبين ضرورة إعادة النظر فى كثير من المفاهيم المسيحية التى صار مسلمات عند الملايين عبر القرون ، وثبت عدم صحتها بعد الدراسة والتمحيص .

* *

حدود رسالة محمد :

لقد قال المسيح فى الإنجيل : « تعليمى ليس لى ، بل للذى أرسلنى - يوحنا ٧ : ١٦ » .

« لأنى لا أتكلم من نفسى ، لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم - يوحنا ١٢ : ٤٩ - ٥٠ » .

ولقد حدد الله رسالة المسيح فأعلن على لسانه :

« لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة - متى ١٥ : ٢٤ » . وهذا

(1) G . Caird : Saint Luke , PP . 189 - 190 .

الأسلوب اللغوى – أسلوب الحصر – القائم على النفى والاستثناء ، يحصر رسالة المسيح فى بنى إسرائيل وحدهم دون سواهم ·

وبنفس هذه الصيغة حدد الله رسالة نبيه محمدا فقال :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الانبياء : ١٠٧] ·

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ١ – ٢] ·

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ : ٢٨] ·

ولقد أمر الله رسوله محمدا أن يعلم الناس بهذه الحقيقة ، فقال له :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، يُحْيِى وَيُمِيتُ ، فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ·

تلك حدود رسالة الإسلام وحقيقتها · فهى دعوة عالمية لكل الناس ، ولهذا حفل القرآن بمخاطبة الناس جميعا فى مثل قوله :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] ·

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء : ١٧٤ – ١٧٥] ·

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٤] ·

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـذَا القُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ [الإسراء : ٨٩] .

﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر : ٥٧] .

*

لقد قامت الأسفار اليهودية والمسيحية على بنى إسرائيل وحدهم دون سواهم ، وكأن أمم الأرض الأخرى ليس لها من رحمة الله نصيب . لكن القرآن يعلمّنا غير ذلك ، فيؤكد لنا عناية الله بخلقه أجمعين . وهذا بعض ما يقال فى هذا المجال :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، فَـهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ ، وَاللهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[البقرة : ٢١٣] .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيرًا ، وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾

[فاطر : ٢٤] .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَن اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ، فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ ، فَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾

[النساء : ١٦٤] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ . [إبراهيم : ٤] .

﴿ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِه ، وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء : ١٥] .

* *

هذا – ومن الجدير بالذكر أن محمدا رسول الله ﷺ قام يدعو الناس على مراحل وفق تسلسل منطقى . فبدأ بدعوة أهل بيته أولا فآمنت زوجه خديجة وربيبه وابن عمه الصبى على بن أبى طالب ، ثم صديقه الحميم أبو بكر ... بعد ذلك انطلق يدعو عشيرته الأقربين ، ثم قبائل العرب قريبها وبعيدها . ثم كانت الهجرة إلى المدينة ودعوة اليهود وغيرهم وخاصة وفود النصارى التى قدمت إلى المدينة .

وفى أواخر السنة السادسة من الهجرة – السنة التاسعة عشرة من بدء الرسالة – حين رجع رسول الله من صلح الحديبية ، كتب إلى الملوك والحكام يدعوهم إلى الإسلام . واختار من أصحابه رسلا ذوى معرفة وخبرة فى حمل مثل هذه المهمات الجليلة . فكتب رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة ، وإلى المقوقس عظيم القبط فى مصر ، وإلى كسرى ملك فارس ، وإلى هرقل قيصر الروم ، وإلى ملك عُمان وحاكم البحرين وغيرهم .

فبهذا – وغيره كثير – كانت دعوة الإسلام عالمية ، وانطلقت هكذا عبر القرون ، وفق التعاليم والتطبيقات .

هذا ولعل خير ما نختم به هذا البحث – الذى دار حول موضوع : الإسلام والأديان السماوية ، معطيا موجزا مُركَّزا لنقاط الاتفاق والاختلاف – هو أن نقول :

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الصافات : ١٨٠ – ١٨٢] .

* * *

ملاحــــق

- محو صيغة التثليث من الطبعات الحديثة
- روايات الصلب
- روايات القيامة
- روايات الظهور
- روايات هلاك يهوذا الخائن
- ملخص لتنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل
- المسيح فى الأناجيل
- بولس
- المرأة فى الأديان
- شكل الكون حسبما جاء فى الكتاب المقدس

الملحق رقم (١)

محو صيغة التثليث
من الطبعات الحديثة

وردت هذه الصيغة فى رسالة يوحنا الأولى - **الإصحاح الخامس : العدد ٧** - وكانت تعتبر النص الوحيد - فى الكتاب المقدس - الذى يعطى الأساس لعقيدة التثليث التى تقول بأن **الثلاثة : الآب والكلمة والروح القدس هم واحد !**

لكن التراجم الحديثة للكتاب المقدس حذفتها باعتبارها نصا دخيلا أقحمه كاتب مجهول منذ قرون .

يقول كتاب : « **هل الكتاب المقدس حقا كلمة الله ؟** » الذى طبع فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٩ ، ثم فى بيروت ، بالعربية عام ١٩٧١ ويوزع **كرسالة تنصيرية** ، فى صفحة ١٦٠ - وهو يتحدث عن الترجمات المختلفة المتلاحقة التى من شأنها تنقية الكتاب المقدس مما يكون قد علق به من أخطاء نتيجة لقصور الترجمات السابقة - ما يلى :

« بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتناء ، يتمكن العلماء من اقتلاع أية أخطاء ربما تسللت إليها .

مثالا على ذلك : الإدخال الزائف فى يوحنا الأولى ، الإصحاح الخامس ، فالجزء الأخير من العدد ٧ والجزء الأول من العدد ٨ يقول : حسب الترجمة البروتستنتينية العربية ، طبع الأميركان فى بيروت (ونقرأ فى الترجمة اليسوعية العربية شيئًا مماثلا) .

(فى السماء ... الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة) .

ولكن ، طوال القرون الثلاثة عشر الأولى للميلاد ، لم تشتمل أية مخطوطة يونانية على هذه الكلمات . وترجمة حريصا العربية تحذف هذه الكلمات كليا من المتن . والترجمة البروتستنتينية العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين،موضحة فى المقدمة أنه(ليس لها وجود فى أقدم النسخ وأصحها) . وهكذا تساعدنا الترجمات العصرية للكتاب المقدس الوصول إلى المعنى الصحيح لما نقرأه » [1] .

* *

هذا – وتقول ترجمة الكتاب المقدس العربية للكاثوليك :

« لأن الشهود فى السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والشهود فى الأرض ثلاثة الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة هم فى واحد – ١ يوحنا ٥ : ٧ – ٨ » .

*

وتقول ترجمة الكتاب المقدس العربية للبروتستانت :

« فإن الذين يشهدون (فى السماء) هم ثلاثة (الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة) الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد » .

وإذا رجعنا إلى التنبيه الذى وضعته هذه الترجمة فى مطلعها نجده يقول فى الكلمات التى توضع بين هلالين أو قوسين ما يلى :

« والهلالان (   ) يدلان على الكلمات التى بينها ليس لها وجود فى أقدم النسخ وأصحها » .

أى أن صيغة التثليث هذه فقرة مزيفة من عمل كاتب مجهول .

*

---

(1) International Bible Students Association , Brooklyn , New York , U . S . A .

وتقول ترجمة العهد الجديد العربية للكاثوليك :

« والذين يشهدون ثلاثة (٧) .

الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون (٨) .

ثم تقول فى الحاشية السفلى تعليقا على العدد (٧) :

« فى بعض الأصول : الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . لم يرد ذلك فى الأصول اليونانية المعول عليها ، والأرجح أنه شرح أدخل إلى المتن فى بعض النسخ » .

*

وهذا هو ما تقوله أيضًا ترجمة العهد الجديد العربية للمطبعة الكاثوليكية ، سواء بالنسبة للمتن أو للحاشية .

*

وتظهر صيغة التثليث هذه فى ترجمة الملك جيمس الإنجليزية فقط ، لكنها اختفت من كل من :

الترجمة القياسية الإنجليزية ، والترجمة الفرنسية المسكونية ، وترجمة أورشليم الفرنسية ، وترجمة لوى سيجو الفرنسية .

ومن الملاحظ أن صيغة التثليث قد اختفت بوجه عام من أغلب التراجم الحديثة فى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

بينما هى لاتزال فى الترجمة العربية للكتاب المقدس للبروتستانت ، ولو أنها وضعت بين هلالين علامة على عدم أصالتها .

وتبين الصفحات الثلاث التالية ما طرأ على صيغة التثليث من محو فى التراجم : العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية .

*

والسؤال الآن : من المسئول عن مصائر الملايين من المسيحيين الذين هلكوا وهم يعتقدون ان عقيدة التثليث التى تعلموها تقوم على نص صريح فى كتابهم المقدس ، بينهما هو نص دخيل أقحمته يد كاتب مجهول ؟! ٠

إن الإجابة والمسئولية لتقع أولا وأخيراً على عاتق الذين اؤتمنوا على الكتاب المقدس وكانوا عليه حفاظا ومترجمين [١] ٠

* * *

---

(١) لمزيد من التفاصيل ، راجع كتاب المؤلف : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس ٠

محو صيغة التثليث
(رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧)

الكتاب المقدس (بروتستانت - ١٩٨٣)	الكتاب المقدس للكاثوليك (دار المشرق - ١٩٨٣)	العهد الجديد للكاثوليك (دار المشرق - ١٩٨٥)	العهد الجديد (المطبعة الكاثوليكية - ١٩٦٩)
٧ - فإن الذين يشهدون (فى السماء) هم ثلاثة (الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد) .	٧ - لأن الشهود فى السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد .		
٨ - والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة : الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد .	٨ - والشهود فى الأرض ثلاثة الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة هم فى واحد .	٧ - والذيــن يشـهدون ثلاثة : (١) ٨ - الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون .	٧- والذيــن يشـهدون ثلاثة : (٢) ٨ - الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون .
تنبيه الهلالان ( ) يدلان على أن الكلمات التى بينهما ليس لها وجود فى أقدم النسخ وأصحها .		(١) فى بعض الأصول : الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . لم يرد ذلك فى الأصـــول اليونانية المعول عليها ، والأرجح أنه شرح أدخل إلى المتن فى بعض النسخ .	(٢) نفس الحاشية رقم (١) .

Deletion of the Trinity Formula
(I - John 5 : 7)

King James Version	Revised Standard Version	Today's English Version	The Original New Testament
7 -For there are three that bear record in heaven , **the Father, the Word , and the Holy Ghost : and these three are one** .	[X] 7 - And the Spirit is the witness , because the Spirit is the truth.	[X] 7 - There are three witnesses :	[X] 7 - For there are three that give their testimony .
8 - And there are three that bear witness in earth , the spirit , and the water and the blood ; and these three agree in one .	8 - There are three witnesses , the spirit , the water and the blood ; and these three agree .	8 - the Spirit , the water and the blood and all three give the same testimony .	8 - the Spirit , the water and the blood , and the three are in complete accord .
* *	* *	* *	* *

Effacement de la Formule de la Trinité
(1 - Jn 5 : 7)

Traduction de Louis Segond 1964	Traduction Oecuménique de la Bible , 1984	La Bible de Jerusalem, 1986
7 - car il y en a trois qui rendent témoignage : 8 - L' Esprit ,l'eau et le sang et les trois sont d'accord [1] . * * (1) Certains manuscrits **tardifs** suivis par certaines traductions portent : Il y en a trois qui rendent témoignage dans le ciel : le Pere , la Parole et L' Esprit Saint . Et ces trois sont un , Et il y en a trois qui rendent témoignage sur la terre: l'Esprit , l'eau et le sang . Et ces trois sont d ' accord . * *	7 - c'est qu'ils sont trois à rendre témoignage . 8 - l'Esprit , l'eau et le sang et ces trois convergent dans l'unique témoignage . * *	7 - IL y en a ainsi trois à témoigner: [2] 8 - l'esprit , l'eau et le sang , et ces trois tendent au même but . * * (2) Le texte des v . v .7 - 8 est surchargé dans la Vulg . par une incise (ci - dessous entre paranthèses) **absente de mss . grecs anciens, des vielles versions et des meilleurs mss. de la vulg .** **et qui semble être une glose marginale introduite plus tard dans le texte :** " Car il y en a trois qui témoignent (dans le ciel : le Pere, le verbe et l' Esprit Saint,et Ces trois sont un : il y en a trois qui témoignent sur terre); L' Esprit, l' eau et le sang , et ces trois sont un " . * *

الملحق رقم (٢)

روايات الصلب

أولا :

يسير مسلسل الأحداث ، خلال الثماني والأربعين ساعة الأخيرة ، بصورة عامة حسب روايات الأناجيل – وعلى خلاف بينها – على النحو التالي :

● يسأل التلاميذ معلمهم – المسيح – عن المكان الذي يريد أن يأكل فيه عشاء الفصح ٠ وهو عيد جعل تذكارا لخروج بني إسرائيل من مصر ، تذبح فيه خراف الفصح مساء نحو غروب الشمس ، ثم يؤكل اللحم مشويا بالنار في ليلته ولا يبقى منه شيء إلى الصباح ٠ ويوم ذبح الخراف هو بداية أسبوع الفطير ٠

● يقول لهم المسيح : « اذهبوا إلى المدينة (أورشليم) إلى فلان وقولوا له المعلم يقول أن وقتي قريب ٠ عندك أصنع الفصح مع تلاميذي ٠ ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح » ٠

لقد اتفقت الأناجيل الثلاثة : متى ومرقس ولوقا على أن العشاء الأخير الذي حضره المسيح مع تلاميذه كان عشاء الفصح ، لكن إنجيل يوحنا جعله عشاء عاديا يؤكل قبل الفصح بعدة أيام ٠

● وأثناء العشاء يتنبأ المسيح أن أحد تلاميذه سيخونه ٠ ويسأله التلاميذ عن علامة ذلك التلميذ الخائن ، فيقول المسيح في بعض الأناجيل : « الذي يغمس يده معي في الصحفة » ، بينما يقول في إنجيل آخر : « الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه » ٠

● لقد كانت خيانة ذلك التلميذ بسبب دخول الشيطان فيه قبل العشاء الأخير ، إذ يقول لوقا : « قرب عيد الفطر ٠٠ دخل الشيطان في يهوذا الذي

يدعى الاسخريوطى » بينما يقول يوحنا أنه أثناء العشاء الأخير : « غمس (يسوع) اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطى . فبعد اللقمة دخله الشيطان » .

● وبعد أن أكل المسيح الفصح مع تلاميذه « خرجوا إلى جبل الزيتون .. إلى ضيعة يقال لها جثسيمانى » ، حيث بدأ يصلى لكى ينجو من الخطر الذى شعر به . وقال لتلاميذه : « نفسى حزينة جدا حتى الموت . اسهروا معى .. وكان يصلى قائلا : إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » .

● وهناك والوقت متأخر ليلاً ، جاء يهوذا الخائن ومعه جند وخدام « من عند رؤساء الكهنة بمشاعل ومصابيح وسلاح » . وكان يهوذا « قد أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبِّله هو هو . أمسكوه » . ذلك أنهم لم يكونوا يعرفون المسيح شخصياً .

● لكن إنجيل يوحنا لا يعرف شيئًا عن القبلة التى كانت علامة للتعرف على المسيح ، ولهذا أعطى صورة مخالفة لعملية القبض ، إذ يقول : تقدم إليهم « يسوع وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى . فقال لهم يسوع : أنا هو . فلما قال لهم : إنى آنا هو ، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » !

● وأخيرا تمت عملية قبض بعد عشاء الفصح ، أى مساء الخميس حسب مرقس ومتى ولوقا . أما حسب يوحنا فقد كان القبض مساء الأربعاء قبل يوم الفصح ، إذ جاءوا بالمقبوض عليه صباح اليوم التالى (الخميس) إلى دار الولاية فهو يقول : « ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية . **وكان صبح** . ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكى لا يتنجسوا **فيأكلون الفصح** ١٨ : ٢٨ » .

● ولقد ترتب على هذا الخلاف بين يوحنا من جانب والثلاثة الآخرين من جانب آخر ، أن كانت عملية الصلب التى تمت فى اليوم التالى لعملية القبض ،

قد حدثت يوم الخميس حسب يوحنا ، وهو اليوم الذى يؤكل فيه الفصح مساء ، إذ أنه يقول : « فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع ٠٠ **وكان استعداد الفصح** ٠٠ فصرخوا : خذه أصلبه ٠٠ حينئذ أسلمه إليهم ليصلب ١٩ : ١٣ - ١٦ » ٠

إن أبسط القضايا فى حياة البشر اليومية حين تعرض على القاضى وقد تضاربت فيها شهادة الشهود ، فإنه يمتنع الحكم إلى أن يحدث تعزيز لأحد الجانبين ٠ فهناك قاعدة أصيلة تقول : **كل ما تسرب إليه الاحتمال سقط به الاستدلال** ٠ فما بالنا والقضية تتعلق بأساسيات عقيدة دينية يتوقف عليها المصائر الأبدية لملايين البشر !

● هذا ، ولقد اتفقت الأناجيل أنه فى ساعة المحنة التى حلت بالمسيح وأصابه فيها ما أصابه من فزع واضطراب ، فقد « **تركه التلاميذ كلهم وهربوا** » !

[انظر بيان : **العشاء الأخير وعملية القبض**] ٠

*

العشاء الأخير وعملية القبض

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١	توقيت العشاء الأخير	عشاء الفصح ١٤ : ١٢	عشاء الفصح ٢٦ : ١٧	عشاء الفصح ٢٢ : ٧	عشاء عادى قبل الفصح ١٣ : ١
٢	دور التلاميذ فى إعداد العشاء	أرسل اثنين منهم ١٤ : ١٣	أرسل التلاميذ جميعا ٢٦ : ١٨-١٩	أرسل اثنين منهم (بطرس ويوحنا) ٢٢ : ٨ ، ١٣	......(١)
٣	علامة التلميذ الخائن	الذى يغمس مع المسيح فى الصحفة ١٤ : ٢٠	الذى يغمس مع المسيح فى الصحفة ٢٦ : ٢٣	الذى يده مع المسيح على المائدة ٢٢ : ٢١	الذى غمس المسيح اللقمة وأعطاه إياها ١٣ : ٢٦
٤	متى دَخَل الشيْطَان فى يهُوذا الخائِن	قبل العشاء الأخير (بيوم على الأقل) ١٤ : ١٠-١٢	قبل العشاء الأخير (بيوم على الأقل) ٢٦ :١٤-١٧	قبل العشاء الأخير (بيوم على الأقل) ٢٢ : ٣-٧	أثناء العشاء الأخير بعد أن أعطاه المسيح اللقمة ١٣ : ٢٧
٥	كَيْفَ تعرفَ الجنْد عَلى المسيح	بعد قبلة يهوذا ١٤ : ٤٥-٤٦	بعد قبلة يهوذا ٢٦ : ٤٩-٥٠	بعد أن دنا يهوذا من المسيح ليقبله ٢٢ : ٤٧	قدم المسيح نفسه متحديًا ، بلا قبلة ١٨ : ٤ - ٨
٦	توقيت القبض	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ١٤ : ٤٣	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٢٦ : ٤٧	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٢٢ : ٤٧	قبل عشاء الفصح (مساء الأربعاء) ١٨ : ٢٨
٧	سُلوك التلاميذ عند القبض	تركه الجميع وهربوا ١٤ : ٥٠	تركه التلاميذ كلهم وهربوا ٢٦ : ٥٦	......	......

(١) هذه النقاط الست (......) تحت أى إنجيل فى أى من الجداول تعنى أن هذا الإنجيل لم يذكر شيئًا محددًا يتعلق بنقطة البحث .

ثانيا :

● يبدأ التمهيد لعملية الصلب بعدد من المحاكمات ، اختلفت فيها الأناجيل • فقد ذكر مرقس ومتى ويوحنا أنه حدثت محاكمة بعد القبض مباشرة عند منتصف ليلة عيد الفصح • لكن لوقا لا يعرف شيئا عن تلك المحاكمة الليلية ، ويستبدلها بمحاكمة نهارية صباح الجمعة •

● كما أن لوقا انفرد – دون بقية الأناجيل – بذكر محاكمة حدثت أمام هيرودس حاكم الجليل • ولهذا ذكر ثلاث محاكمات وخمس رحلات جعلها كلها تحدث نهار الجمعة خلال فترة نحو خمس ساعات وفى أماكن متفرقة •

● ثم كان يوم الصلب – يوم آخر محاكمة ، إذ اقتيد بعدها المقبوض عليه إلى موضع الصلب – يوم الجمعة حسب مرقس ومتى ولوقا • أما يوحنا فقد جعله يوم الخميس وهو اليوم الذى تذبح فيه خراف الفصح •

[انظر بيانات : **المحاكمات** ، **وعدد المحاكمات** ، **ويوم الصلب** ، **والتحركات منذ القبض حتى الصلب**] •

*

المحاكمات

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٨	المحاكمة الأولى : – التوقيت هيئة المحكمة	ليلاً بعد القبض مباشرة (ليلة عيد الفصح) رئيس الكهنة والمجمع ١٤ : ٥٣–٥٥	ليلاً بعد القبض مباشرة (ليلة عيد الفصح) رئيس الكهنة والمجمع ٢٦ : ٥٧ – ٥٩	نهارًا فى اليوم التالى للقبض (الجمعة) رئيس الكهنة والمجمع ٢٢ : ١٣	ليلاً بعد القبض مباشرة (الليلة السابقة لليلة عيد الفصح) حنان حموقيافا ثم قيافا رئيس الكهنة ١٨ : ١٢ – ١٣
٩	المحاكمة الثانية : – التوقيت – هيئة المحكمة	صباح اليوم التالى (الجمعة) بيلاطس الوالى ١٥ : ١	صباح اليوم التالى (الجمعة) بيلاطس الوالى ٢٧ : ١	صباح اليوم التالى (الجمعة) بيلاطس الوالى ٢٣ : ١	صباح اليوم التالى (الخميس) بيلاطس الوالى ١٨ : ٢٨ – ٣٣
١٠	المحاكمة الثالثة : – التوقيت – هيئة المحكمة	......	......	صباح اليوم التالى (الجمعة) هيرودس حاكم الجليل ٢٣ : ٧–١٠	......

عدد المحاكمات

مسلسل عام	الوقت	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١١	ليلا بعد القبض مباشرة	١	١	٠٠٠	١
١٢	نهار اليوم التالى للقبض	١	١	٣	١
١٣	المجموع الكلى	٢	٢	٣	٢

*

يوم الصلب

مسلسل عام	نقطة البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٤	يوم آخر محاكمة (هو يوم الصلب)	الجمعة ١٥ : ١٥ ، ٢٠	الجمعة ٢٧ : ٢٦ ، ٣١	الجمعة ٢٣ : ٢٤ ، ٣٣	الخميس يوم تذبح خراف الفصح « وكان استعداد الفصح » ١٩ : ١٤ – ١٨

التحركات منذ القبض حتى الصلب

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٥	الرحلة الأولى	مساء الخميس « إلى رئيس الكهنة » ١٤ : ٥٣	مساء الخميس « إلى قيافا رئيس الكهنة » ٢٦ : ٥٧	مســـاء الخميس « إلى بيت رئيس الكهنة » ٢٢ : ٥٤	مساء الأربعاء « إلى حنان أولا لأنه كان حما قيافا رئيس الكهنة » ١٨ : ١٣
١٦	الرحلة الثانية	صباح الجمعة « إلى بيلاطس » ١٥ : ١	صباح الجمعة « إلى بيلاطس » ٢٧ : ١	صباح الجمعة « إلى بيلاطس » ٢٢ : ٦٦ ، ٢٣ : ١	مساء الأربعاء « إلى دار رئيس الكهنة » ١٨ : ١٥ ، ١٨
١٧	الرحلة الثالثة	نهار الجمعة « إلى موضع جلجثة » مكان الصلب ١٥ : ٢٢	نهار الجمعة « إلى موضع يقال له جلجثة » ٢٧ : ٣٣	نهار الجمعة « إلى هيرودس فى أورشليم » ٢٣ : ٧	صباح الخميس « إلــى دار الولايـــة (إلى بيلاطس) وكان صبح » ١٨ : ٢٨ – ٢٩
١٨	الرحلة الرابعة	......	......	نهار الجمعة « رده (هيرودس) إلى بيلاطس » ٢٣ : ١١	نهار الخميس « مضوا به إلى موضع جلجثة » ١٩ : ١٦ – ١٧
١٩	الرحلة الخامسة	......	......	نهار الجمعة « مضوا إلى الموضع الذى يدعى جمجمة » ٢٣ : ٣٣	......
٢٠	عدد الرحلات	٣	٣	٥	٤

ثالثا :

● وإذا تتبعنا أحداث الصلب التى أعقبت المحاكمات ، نجدها تبدأ باستهزاء العسكر بالمقبوض عليه وضربه ووضع إكليل من الشوك فوق رأسه .

وكان هؤلاء جنود بيلاطس ، حسب مرقس ومتي ويوحنا . أما حسب لوقا فقد كانوا جنود هيرودس .

● ثم كان سمعان القيروانى هو حامل الصليب ، حسب مرقس ومتى ولوقا ، بينما قال يوحنا أن المقبوض عليه « خرج وهو حامل صليبه » .

● وقد اختلفت الأناجيل فى علة المصلوب التى قيل إن العرف جرى على كتابتها على الصليب . فكانت « ملك اليهود » حسب مرقس ، بينما جعلها يوحنا : « يسوع الناصرى ملك اليهود » وبلغات ثلاث هى : العبرانية واليونانية واللاتينية ، وإن الذى كتب ذلك كان هو الحاكم الرومانى بيلاطس !

● وقد صلب معه لصان كانا يعيرانه ، حسب مرقس ومتى . أما حسب لوقا فقد كان أحدهما يعيره بينما كان الآخر يواسيه ويدافع عنه .

● ثم كانت صرخة اليأس على الصليب عتابا يائسا بين المصلوب وربه ، إذ قال : « إلهى ! إلهى ! لماذا تركتنى ؟! » حسب مرقس ومتى . أما لوقا فقد استبدلها بقوله : « فى يديك استودع روحى » .

● وكانت الساعة الثالثة هى وقت الصلب ، حسب مرقس ، أما حسب يوحنا فكانت نحو السادسة .

● ولقد كان شهود الصلب « نساء ينظرن من بعيد » .

[انظر بيان : أحداث الصلب] .

*

أحداث الصلب

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢١	استهزاء العسكر قبل الصلب (إكليل الشوك – الضرب – البصق)	«حنود بيلاطس» ١٥ : ١٦ – ٢٠	« جنود بيلاطس » ٢٧ : ٢٧ – ٣١	« جنود هيرودس » ٢٣ : ١١	« جنود بيلاطس » ١٩ : ١ – ٥
٢٢	حامل الصليب	سمعان القيرواني ١٥ : ٢١	سمعان القيرواني ٢٧ : ٣٢	سمعان القيرواني ٢٣ : ٢٦	المصلوب نفسه ١٩ : ١٧
٢٣	شراب المصلوب قبل صَرخة اليأس	خمراً ممزوجة بمر فلم يقبل ١٥ : ٢٣	خلاً ممزوجًا بمرارة ولما ذاق لم يشرب ٢٧ : ٣٤	......	......
٢٤	علة المصلوب	« ملك اليهود » ١٥ : ٢٦	« هذا هو يسوع ملك اليهود » ٢٧ : ٣٧	اليهود [يونانية – رومانية – عبرانية] ٢٣ : ٣٨	« ملك اليهود » [عبرانية – يونانية – لاتينية] ١٩ : ١٩ – ٢٠
٢٥	اللصان والمصلوب	« كانا يعيرانه » ١٥ : ٣٢	« كانا يعيرانه » ٢٧ : ٤٤	كان أحدهما يعيره والآخر يدافع عنه ٢٣ : ٣٩ – ٤٠	......

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢٦	وقت الصلب	الساعة الثالثة ١٥ : ٢٥	......	قبل الساعة السادسة ٢٣ : ٣٣ – ٤٤	الساعة السادسة ١٩ : ١٤ – ١٦
٢٧	صرخة اليأس على الصليب	« إلهى ، إلهى لماذا تركتنى » ١٥ : ٣٤	« إلهى ، إلهى لماذا تركتنى » ٢٧ : ٤٦	« يا أبتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون » ٢٣ : ٣٤	
٢٨	شهود الصلب	« نساء ينظرن من بعيد » ١٥ : ٤٠	« نساء كثيرات ينظرن من بعيد » ٢٧ : ٥٥	« جميع معارفه ونساء واقفين من بعيد ينظرن » ٢٣ : ٤٩	أمه وأخت أمه ومريم المجدلية واقفات عند الصليب (عن قرب) ١٩ : ٢٥

الملحق رقم (٣)

روايات القيامة

تقول الأناجيل أن المسيح ، بعد أن مات على الصليب يوم الجمعة حسب مرقس ومتى ولوقا ، أو يوم الخميس حسب يوحنا ، فقد أنزل من على الصليب ووضع جسده فى قبر مساء يوم الصلب . وفى الساعات الأولى من فجر يوم الأحد اكتشفت بعض النسوة من معارف المسيح خلو ذلك القبر من أى جسد .

لقد كانت تلك نواة بدأت تتكون حولها روايات تقول أن المسيح قام من الأموات ، ثم ما لبثت هذه أن تداخلت معها روايات أخرى تقول أنه بعد قيامته ظهر لعدة أشخاص ، كانت أولاهن - بالطبع - تلك التي بدأت حديث القيامة ، ألا وهى مريم المجدلية « التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين - مرقس ١٦ : ٩ » وتبدأ رواية القيامة بقول إنجيل مرقس : « بعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومه حنوطا ليأتين ويدهنه . وباكر جدا فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس ، وكن يقلن فى أنفسهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر . فتطلعن ورأين الحجر قد دحرج لأنه كان عظيما جدا .

ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندهشن : فقال أنتن تطلبن يسوع الناصرى . قد قام » وهكذا بدأت فكرة القيامة من الأموات .

ورغم أن حادثة زيارة النساء للقبر لم تستغرق وقتا طويلاً يسمح بتعدد رواياتها ، إلا أن الأناجيل الأربعة اختلفت فيها ، ولم تتفق إلا على كون مريم المجدلية هى قائدة رحلة الزيارة وما نتج عنها من فكرة القيامة التى صارت فيما بعد إحدى ركائز العقيدة المسيحية التى أنشأها بولس .

فلقد اختلفوا فى عدد الزائرات ، ووقت الزيارة ، ومن كان موجودا بالمقبرة ، وما يتعلق بالرسالة التى كلفن بإبلاغها .

[انظر بيان : **روايات القيامة**] .

*

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢٩	زوار المقبرة	« مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة » ١٦ : ١	« مريم المجدلية ومريم أخرى » ٢٨ : ١	« مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات » ٢٤ : ١٠	« مريم المجدلية » ٢٠ : ١
٣٠	وقت الزيارة	بعد طلوع الشمس ١٦ : ٢	عند الفجر ٢٨ : ١	أول الفجر ٢٤ : ١	« باكراً والظلام باق » ٢٠ : ١
٣١	ماذا رأت الزائرات فى المقبرة	« شابا جالساً على اليمين لابساً حلة بيضاء » ١٦ : ٥	« ملاك الرب دحرج الحجر عن الباب وجلس عليه » ٢٨ : ٢	« رجلان بثياب براقة » ٢٤ : ٤	« ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين » ٢٠ : ١٢
٣٢	الرسالة التى كلفت بها الزائرات	« قلن لتلاميذه ولبطرس أنه يسبقكم إلى الجليل » ١٦ : ٧	« قولا لتلاميذه أنه قام من الاموات ها هو يسبقكم إلى الجليل » ٢٨ : ٧	«اذكرن كيف كلمكن وهو بعد الجليل » ٢٤ : ٦	....
٣٣	ماذا فعلت الزائرات بالرسالة	« لم يقلن لاحد لأنهن كن خائفات » ١٦ : ٨	« خرجتا سريعا لتخبرا تلاميذه » ٢٨ : ٨	« أخبرن الاحد عشر وجميع الباقين » ٢٤ : ٩	....

الملحق رقم (٤)

روايات الظهور

• تذكر أناجيل مرقس ومتى ويوحنا أن المسيح بعد أن قام من الأموات ، ظهر أولا لمريم المجدلية التى لم تعرفه وظنته البستانى ! ولما أخبرت مريم الآخرين لم يصدقوا .

أما لوقا فقد أسقط هذه الرواية ، وجعل الظهور الأول من نصيب اثنين من تلاميذه ، واللذين لم يعرفانه ! .

• حدث الظهور للتلاميذ معا مرة واحدة حسب مرقس ومتى ولوقا . أما يوحنا فقد جعله يحدث ثلاث مرات .

• اتفق مرقس ومتى على أن الظهور للأحد عشر تلميذاً حدث فى الجليل ، فاختلفا فى ذلك مع لوقا ويوحنا اللذين جعلاه يحدث فى أورشليم .

• اتفقت روايات الأناجيل على شك التلاميذ جميعا فى روايات الظهور .

[انظر بيان : **روايات الظهور**] .

*

روايات الظهور

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٣٤	الظهور الأول - الشهود - رد الفعل	« مريم المجدلية » أخبرت الذين كانوا معه فلم يصدقوا ١٦ : ٩ - ١١	« مريم المجدلية ومريم الأخرى » ٢٨ : ١ ، ٩	« اثنان منهم » لم يعرفاه ٢٤ : ١٣ ، ١٦	« مريم المجدلية لم تعلم أنه يسوع فظنت أنه البستاني » ٢٠ : ١٤ - ١٥
٣٥	الظهور الثاني - الشهود - رد الفعل	« اثنين منهم » « أخبرا الباقين فلم يصدقوا » ١٦ : ١٢ - ١٣	في الجليل « الأحد عشر تلميذاً » « بعضهم شكوا » ٢٨ : ١٦ - ١٧	سمعان .... ٢٤ : ٣٤	في أورشليم التلاميذ عدا توما (مساء الأحد) توما لم يصدق ٢٠ : ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥
٣٦	الظهور الثالث - الشهود - رد الفعل	في الجليل الأحد عشر وبّخ عدم إيمانهم ١٦ : ١٤		(في أورشليم) التلاميذ « ظنوا أنهم نظروا روحًا » ٢٤ : ٣٦ - ٣٧	(في أورشليم) التلاميذ ومعهم توما (بعد ثمانية أيام) ٢٠ : ٦
٣٧	الظهور الرابع - الشهود - رد الفعل	......	....	....	التلاميذ (على بحيرة طبريا) « لم يكونوا يعلمون أنه يسوع » ٢١ : ١ ، ٤
٣٨	ملاحظة : إنجيل مرقس الأصلي لم يذكر شيئًا عن روايات الظهور إذ أنه ينتهي عند١٦ : ٨ وما ذكر بعد ذلك « الأعداد من ٩ إلى ٢٠ » إنما هي إضافة ألحقت به نحو عام ١٨٠ ميلادية .				

شك التلاميذ فى روايات القيامة والظهور

تمتلىء روايات الأناجيل عن القيامة والظهور بالكثير من المآخذ والثغرات التى يستطيع القارىء تلمسها بمجرد المطالعة ومقارنة المواقف المتشابهة فى الأناجيل المختلفة ٠

وتكفى هذه المآخذ والثغرات لرفض ما تقوله تلك الروايات عن قيامة المسيح وظهوره ٠ وكيف لا ترفض وقد رفضها كاتب إنجيل مرقس الأصلى فأسقطها من حسابه وأنهى الإنجيل عند ١٦ : ٨ ، كذلك رفضها تلاميذ المسيح وشكوا فيها ذلك الشك المريب الذى سجلته الأناجيل ٠

لقد شك التلاميذ جميعا فيما روته مريم المجدلية ومن معها من النسوة عن قيامة المسيح من الأموات فحين « رجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتى قلن هذا للرسل ٠

فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقون ٠

فقام بطرس وركض إلى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعة وحدها **فمضى متعجبًا فى نفسه مما كان** – لوقا ٢٤ : ٩ – ١٢ » ٠

هكذا كان موقف تلاميذ المسيح من روايات القيامة ، وهم الذين التصقوا به منذ اختارهم حتى رحل عنهم ، وكان على رأسهم بطرس ، وفيهم يوحنا ، وهم الذين تلقوا تعاليمه ووعـــوها قبل أن تظهر بينـــهم مريم المجدلية ومن بعد ما ظهرت ٠

إن أناجيل مرقس ومتى ولوقا تذكر لنا حديثا جرى بين المسيح وتلاميذه تنبأ فيه بقتله ثم قيامته من الأموات ٠٠ فهى تقول :

« ابتدأ **يعلمهم** أن ابن الإنسان (المسيح) ينبغى أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل **وبعد ثلاثة أيام يقوم** .

وقال القول علانية .

فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلا : اذهب عنى يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن للناس – مرقس ٨ : ٣١ – ٣٣ ، متى ١٦ : ٢١ – ٢٣ ، لوقا ٩ : ٢٢ » .

إن رواية الحوار بين المسيح وتلاميذه على هذه الصورة تعنى أن القيامة من الأموات أصبحت أمرا مفروغا منه ، مثلها كمثل القتل ، ذلك أن الأناجيل تذكر أن المسيح « قال القول علانية » .

ولما راجعه فيه بطرس أمام التلاميذ ما كان من المسيح إلا أن أغلظ له القول ولقبه بالشيطان .

فإذا وجدنا بعد ذلك أن روايات القيامة التى جاءت بها مريم المجدلية كانت بالنسبة لبطرس ورفاقه كلاماً « **كالهذيان** » لا يمكن تصديقه ، فإن النتيجة التى لا مفر من التسليم بها هى :

إن ذلك الحوار الذى قيل إنه جرى بين المسيح وتلاميذه والذى تنبأ فيه بقتله ثم قيامته لم يحدث على الإطلاق ، وأن ما نجده عن ذلك الحوار فى الأناجيل لا يعدو أن يكون إضافات أدخلت إليها فيما بعد .

إن هذا ما ينطق به إنجيل يوحنا حين يقرر أن فكرة القيامة كانت غريبة تماما بالنسبة للتلاميذ الذين فوجئوا برواية مريم المجدلية . فحين ذهبت هذه وأخبرت بطرس ويوحنا فإنهما تسابقا إلى القبر « فحينئذ دخل أيضا التلميذ الآخر الذى جاء أولا إلى القبر ورأى فآمن . **لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات .**

فمضى التلميذان (بطرس ويوحنا) أيضا إلى موضعهما – يوحنا ٢٠ : ٨ – ١٠ » .

على أن الشيء الذى اتفقت عليه الأناجيل - بجانب اتفاقها على شك التلاميذ فى روايات القيامة هو اتفاقها على خلو ذلك القبر - الذى قيل إن جسد المسيح قد دفن فيه - من أى جسد .

كذلك شك التلاميذ فيما روته مريم المجدلية وغيرها عن ظهور المسيح .

يقول إنجيل مرقس فى خاتمته التى أضيفت إلى ما سطره مرقس فيما بعد ، أنه عندما ذهبت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أن المسيح قد ظهر لها « **فلما سمع أولئك أنه حى وقد نظرته لم يصدقوا** » .

وكذلك كان الحال مع الاثنين اللذين قيل إنه ظهر لهما ، إذ لما « **ذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين** » .

لقد شك التلاميذ حتى آخر لحظة فى روايات الظهور ، وهو الأمر الذى جعل كتبة الأناجيل يقولون ما قالوا عن ظهور المسيح لتلاميذه الأحد عشر مصحوبا بتوبيخهم لعدم إيمانهم « لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام » .

أما رواية متى التى تتكلم عن ظهور المسيح لتلاميذه فإنها تسجل شكهم فى أن يكون ذلك الذى ظهر لهم هو المسيح الذى عرفوه جيداً وصاحبوه زماناً لم يفارقوه فيه البتة - فهى تقول : « أما الأحد عشر تلميذاً .. لما رأوه سجدوا له ولكن **بعضهم شكوا** » .

وكذلك يقول لوقا أن المسيح حين ظهر لتلاميذه فإنهم « **جزعوا وخافوا وظنوا إنهم نظروا روحاً** .

فقال لهم ما بالكم مضطربين .. **وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون** قال لهم أعندكم ههنا طعام فناولوه جزءاً من سمك مشوى وشيئاً من شهد عسل » .

ويسجل يوحنا شك أحد التلاميذ - ويدعى توما - بصورة تقطع بأن فكرة القيامة لا علاقة لها البتة برسالة المسيح وتعاليمه ، وإنما هى شىء دخيل ألصق بها فيما بعد .

« أما توما أحد الاثنى عشر الذى يقال له التوأم فلم يكن معهم حين جاء يسوع : فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب ٠

فقال لهم إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع إصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أومن » ٠

أن كل قول لم يبصر فى مسيحية المسيح الحقة الفاضلة سوى الصلب والقيامة ، قد قادها إلى مغامرة خطرة وجعلها تحت رحمة التاريخ ٠ وإذا رجعنا إلى ما يسعفنا به التاريخ فى روايات القيامة والظهور لوجدناه فى غير صالح ذلك المفهوم الذى لم ير بولس شيئًا غيره فى مسيحية المسيح ٠

يقول أدولف هرنك أن هناك عددًا من النقاط مؤكدة تاريخيًا منها « أن أحدًا من خصوم المسيح لم يره بعد موته – وأنه لا يمكن التحقق بيقين من تواتر مرات الظهور وعددها – وأن القبر الذى كان خاليًا فى اليوم الثالث لا يمكن اعتباره حقيقة مؤكدة تاريخيًا بأى حال من الأحوال » [١] ٠

* *

(1) Adolf Harnack : HISTORY OF DOGMA , London , 1961 , Vol , I , P . 85 .

الملحق رقم (٥)

روايات هلاك يهوذا الخائن

اختلف متى مع لوقا الذى كتب سفر أعمال الرسل فى روايتيهما عن هلاك يهوذا الاسخريوطى الخائن . فقد ذكر متى أن يهوذا ندم لخيانة معلمه ، فرد « الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة ثم مضى وخنق نفسه . فقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لأنها ثمن دم . فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء . لهذا سمى ذلك الحقل حقل الدم » .

أما لوقا فيذكر فى سفر أعمال الرسل رواية عن بطرس أن يهوذا « اقتنى حقلا من أجرة الظلم ، وإذا سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، حتى دعى ذلك الحقل حقل دم » .

أما مرقس ويوحنا فلم يعرفا شيئا عن نهاية يهوذا ، ولذا سكتا عنها .

وإذا قرأنا ملخصا لتنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل – حسبما جاء فى الملحق التالى رقم (٦) – لوجدناها تشير إلى هلاك يهوذا بنفس « آلة الموت » التى ساهم فى تجهيزها لمعلمه ، إلا وهى الصليب الذى كان وسيلة الإعدام الرئيسية عند الرومان .

*

روايات هلاك يهوذا الخائن

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	أعمال الرسل (كتبه لوقا)	يوحنا
٣٩	كيف مات	......	انتحر إذ أنه « مضى وخنق نفسه » ٢٧ : ٥	مات ميتة دموية إذ « سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها » ١ : ١٨	......
٤٠	من اشترى الحقل بثمن الخيانة الذى أخذ من الكهنة ؟	......	« الكهنة اشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء » ٢٧ : ٧	يهوذا هو الذى « اقتنى حقلا من أجرة الظلم » ١ : ١٨	
٤١	لماذا سمى الحقل حقل دم ؟	......	لأن نقوده كانت « ثمن دم » برىء ٢٧ : ٤ – ٨	بسبب الميتة الدموية التى ماتها « دعى ذلك الحقل فى لغتهم حقل دما اى حقل دم » ١ : ١٨ – ١٩	......

الملحق رقم (٦)

ملخص لتنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل

إن جميع تنبؤات المزامير التى تختص بالمسيح يجب أن تكون متكاملة ، لا ينقض أحدها الآخر ، إنما يزداد الأمر بجمعها معا إيضاحا ويقينا .

والخلاصة أن تنبؤات المزامير بالأحداث التى يتعرض لها المسيح تشتمل على سبعة عناصر ، نذكرها بما يشهد لها من تلك المزامير .

١ - يتآمر الرؤساء (الكهنوت اليهودى) على المسيح لقتله والتخلص منه :

« قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قائلين : لنقطع قيودهما ،ولنطرح عنا ربطهما - ٢ : ٢ - ٣ » .

« الخوف مستدير بى بمؤامرتهم معا علىَّ . تفكروا فى أخذ نفسى ٣١ : ١٣ » .

٢ - ويستخدم المتآمرون عميلا من تلاميذ المسيح هو ذلك الشرير الخائن :

« رجل سلامتى الذى وثقت به ، آكل خبزى رفع علىَّ عَقِبه - ٤١ : ٩ » .

« ليس عدو يعيِّرنى فاحتمل . ليس مبغضى تعظم علىَّ فأختبىء منه .

بل أنت إنسان عديلى . إلفى وصديقى . **الذى معه كانت تحلو لنا العشرة .** إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور – ٥٥ : ١٢ – ١٤ » .

« الشرير يتفكر ضد الصدِّيق ويُحرِّق عليه أسنانه .. الشرير يراقب الصدِّيق محاولا أن يميته – ٣٧ : ١٢ ، ٣٢ » .

٣ – وحين يستشعر المسيح الخطر ، فإنه يفزع ويرتاع وتقرب به المحنة من حافة اليأس فيصرخ إلى الله طالبا النجاة وحفظ نفسه من القتل :

« خوف ورعدة أتيا على ، وغشينى رعب . فقلت ليت لى جناحا كالحمامة فأطير واستريح – ٥٥ : ٥ – ٦ » .

« عظامي قد رجفت ونفسى قد ارتاعت جدا .

وأنت يارب فحتى متى . نجِّ نفسى . خلصنى من أجل رحمتك لأنه ليس فى الموت ذكرك . فى الهاوية من يحمدك – ٦ : ٥٢ » .

« ارحمنى يا رب . انظر مذلتى من مبغضى ، يا رافعى من أبواب الموت – ٩ : ١٣ » .

« انظر واستجب لى يارب إلٰهى . أنر عينى لئلا أنام نوم الموت١٣ : ٣ » .

« بذبيحة وتقدمة لم تُسر .. مُحرقة وذبيحة خطية لم تطلب – ٤٠ : ٦ » .

« ما الفائدة من دمى إذا نزلت إلى الحفرة . هل يحمدك التراب هل . يخبر بحقك . استمع يارب وارحمنى . يا رب كن معينًا لى – ٣٠ : ٩ – ١٠ » .

« استمع يارب . بصوتى أدعو فارحمنى واستجب لى ..
لا تسلمنى إلى مرام مضايقىَّ – ٢٧ : ٧ ، ١٢ » .

« أقض لى حسب عدلك ، يا رب إلٰهى فلا يشمتوا بى . لا يقولوا فى قلوبهم هه شهوتنا . لا يقولوا قد ابتلعناه – ٣٥ : ٢٤ – ٢٥ » .

٤ - ثم يدعو المسيح على تلميذه الخائن بالهلاك :

« ليقف شيطان عن يمينه . إذا حوكم فليخرج مذنبًا . وصلاته فلتكن خطية .

لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر .

ليكن بنوه أيتاما وإمرأته أرملة ..

لتنقرض ذريته فى الجيل القادم ليمح اسمهم .

من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد إنسانًا مسكينًا وفقيرًا ، والمنسحق القلب **ليميته** - ١٠٩ : ٦ - ١٦ » .

« قم يارب . تقدَّمه . أصــرعه . نج نفسى من الشرير بسيفك - ١٧ : ١٣ » .

٥ - ويستجيب الله دعاء المسيح لنفسه بالنجاة فتفشل المؤامرة ويحفظ الله عليه حياته :

« فى يوم الشر **ينجيه** الرب .

الرب يحفظه ويُحْيِيه . يغتبط فى الأرض ولا يُسلِّمه إلى مَرَام أعدائه - ٤١ : ١ - ٢ » .

« الرب أبطل مؤامرة الأمم . لاشى **أفكار** الشعوب . أما مؤامرة الرب فإلى الأبد تثبت - ٣٣ : ١٠ - ١١ » .

« عند رجوع أعدائى إلى خلف يسقطون ويهلكون من قدام وجهك . لأنك أقمت حقى ودعواى . جلســت على الكرسى قاضــيا عادلا . انتهرت الأمم - ٩ : ٣ - ٥ » .

« حينئذ ترتد أعدائى إلى الوراء فى يوم أدعوك فيه . هذا قد علمته لأن الله لى .. شكر لك ، لأنك قد نجيت نفسى من الموت - ٥٦ : ١٣ » .

« الآن عرفت أن الرب مُخلِّصُ مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه - ٢٠ : ٦ » .

« تصيب يدك جميع أعدائك .. لأنهم نصبوا عليك شرا . تفكروا بمكيدة لم يستطيعوها - ٢١ : ٨ ، ١١ » .

« من الضيق دعوت الرب فأجابني من الرب .. وأنا سأرى بأعدائي .. لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب .. إلى الموت لم يسلمني – ١١٨ : ٥ – ١٨ » .

« حياة سألك فأعطيته ، طول الأيام إلى الدهر والأبد – ٢١ : ٤ » .

٦ – كما يستجيب الله دعاء المسيح على التلميذ الخائن ، فتنقلب عليه مؤامرته ويتجرع ذات الكأس التي شارك في تجهيزها لمعلمه :

« سدد نحوه آلة الموت .

هو ذا يمخض بالإثم .. كَرَاجُبًّا . حفره فسقط في الهوة التي صنع .

يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه – ٧ : ١٣ – ١٦ » .

هيأوا شبكة لخطواتي .. حفروا قدامي حفرة . سقطوا في وسطها – ٥٧ : ٦ » .

« الرب قضاء أمضى . الشرير يعلق بعمل يديه – ٩ : ١٦ » .

« سيفهم يدخل في قلبهم وقسيهم تنكسر – ٣٧ : ١٥ » .

٧ – وتكون وسيلة نجاة المسيح من القتل أمرا عجبا ، إذا يرفعه الله إلى السماء فلا يمسسه السوء :

« يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك . على الأيدي يحملونك لأنه تعلقّ بي أنجيه . أرفعه لأنه عرف اسمي – ٩١ : ١١ – ١٤ » .

« أصرخ إلى الله العلي ، إلى الله المحامي عني . يرسل من السماء ويخلصني – ٥٧ : ٢ – ٣ » .

« يخبئني في مظلته في يوم الشر . يسترني بستر خيمته . على صخرة يرفعني – ٢٧ : ٥ » .

« لم تحبسني في يد العدو ، بل أقمت في الرحب رجلي .. مبارك الرب لأنه قد جعل عجبًا ، رحمته لي في مدينة محصنة – ٣١ : ٨ ، ٢١ » .

هذا – وإذا جمعنا تلك العناصر السبعة التي تشتمل عليها تنبؤات المزامير وقرأناها بتسلسلها لكانت كالآتي :

يتآمر الكهنوت اليهودى على المسيح لقتله والتخلص منه ، ويستخدم المتآمرون عميلا من تلاميذ المسيح هو ذلك الشرير الخائن ·

وحين يستشعر المسيح الخطر ، فإنه يفزع ويرتاع وتقرب به المحنة من حافة اليأس فيصرخ إلى الله طالبا النجاة وحفظ نفسه من القتل ، ثم يدعو المسيح على تلميذه الخائن بالهلاك ·

ويستجيب الله دعاء المسيح لنفسه بالنجاة فتفشل المؤامرة ويحفظ عليه حياته ، كما يستجيب الله دعاء المسيح على التلميذ الخائن ، فتنقلب عليه مؤامرته ويتجرع ذات الكأس التى شارك فى تجهيزها لمعلمه ·

وتكون الوسيلة التى نجا بها المسيح من القتل أمرا عجبا ، إذا يرفعه الله إلى السماء فلا يمسه السوء ·

تلك هى الحقيقة من المزامير وهى الحقيقة التى يــجدها كل من يقرأ المزامير ، واضحة كل الوضوح لا لبس فيها ولا غموض ·

حقًّا نقول : لقد تنبأت المزامير بنجاة المسيح من القتل والصلب ·

وتنبأت المزامير بهلاك يهوذا ·

هلاكا وسيلته « آلة الموت » أو بالأحرى خشبة الصليب ، لأنه بسببها يلبس اللعنة والعار والخزى والبوار ·

* *

الملحق رقم (٧)

المسيح فى الأناجيل
١ - نسب المسيح

يقول إنجيل متى فى ولادة المسيح : « أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا (جنسيا) وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها إذ كان بارا لم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا . وفيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ امرأتك مريم لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس .

فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته . ولم يعرفها(يعاشرها معاشرة الأزواج)حتى ولدت ابنها البكر -١ :١٨ - ٢٥ » .

ويقول جورج كيرد فى تفسيره لإنجيل لوقا ، فيما يتعلق باعتبار يوسف أبا للمسيح : « إن يوسف يشار إليه دائما باعتباره أبا ليسوع . وعن طريق يوسف انحدر يسوع من نسل داود .

لقد تعود اليهود على فكرة الأبوة الشرعية ، إذ أن التشريع العجيب (المذكور فى سفر التثنية ٢٥ : ٥ - ٦) والذى يُجبر أخا المتوفى من غير ذرية على الزواج من أرملة أخيه ، كان يقضى بأن يرد النسب الشرعى للطفل (المولود نتيجة لهذا الزواج) إلى زوج أمه الأول (المتوفى) ، بدلا من نسبته إلى أبيه الحقيقى (وهو زوجها الثانى) »[١] .

---

(1) Caird : Saint Luke P . P . 30 - 31 .

فلقد كانت مريم تقول لابنها أن يوسف أبوه ، حسب فكرة الأبوة الشرعية . فقد ذكر لوقا فى إنجيله حادثة فقد المسيح فى زحمة العيد وعمره آنذاك اثنتا عشرة سنة فقال : « كان أبواه (يوسف ومريم) يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح . ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد . وبعدما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما .. وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل .. وقالت له أمه . يا بنى ! لماذا فعلت بنا هكذا ؟! هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين – ٢ : ٤١ – ٤٨ » .

لقد جاء الحديث عن نسب المسيح – باعتباره ابنا ليوسف النجار – فى إنجيلين : متى ولوقا . وبمقارنة ما ذكره متى فى الإصحاح الأول وما ذكره لوقا فى الإصحاح الثالث يلاحظ على الفور اختلافهما كالآتى :

١ – ظن متى أن المسيح جاء من نسل سليمان بن داود فقال : « داود الملك ولد **سليمان** .. وسليمان ولد **رحبعام** ... **ويعقوب** ولد **يوسف** رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح – ١ : ٦ – ١٦ » بينما ظن لوقا أن المسيح جاء من نسل ابن آخر لداود يدعى ناثان ، إذ قال :

« ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة . **وهو على ماكان يُظن** ابن **يوسف بن هالى بن** متثات ..... بن **ناثان** بن داود – ٣ : ٢٣ – ٣١ . لقد كان لداود أبناء كثيرون من زوجاته الكثيرات تذكر لنا منهم الأسفار : « بكره **أمنون** من أخينوعم .. وثانية **كيلاب** من أبيجايل .. والثالث **أبشالوم** .. والرابع **أدونيا** .. والخامس **شفطيا** .. والسادس **يشرعام** من عجلة امرأة داود . هؤلاء ولدوا فى حبرون – صموئيل الثانى ٣ : ٢ – ٥ » .

« وهؤلاء ولدوا له فى أورشليم :شمعى،وشوباب،**وناثان** ، **وسليمان** ... ويجار ،واليشامع ، واليفاط ، ونوجه ، ونافج ، ويافيع ، واليشمع ، والياداع ، واليفلط ، أخبار الأيام الأول ٣ : ١ – ٨ » .

٢ – ولقد ترتب على اختلاف متى ولوقا فى ابن داود الذى انحدر منه يوسف النجار ، أن اختلفت سلسلة النسب عند كل منهما . فعلى حسب متى كان **يوسف بن يعقوب** ، وعلى حسب لوقا كان **يوسف بن هالى .**

٣ – اختلف مجموع الأجيال من داود إلى يوسف ، فعلى حسب متى كان ٢٧ جيلا ، بينما حسب لوقا كان ٤٢ جيلا – هذا بالإضافة إلى اختلاف متى مع ما جاء فى سفر أخبار الأيام الأول (الإصحاح الثالث) فيما يتعلق بتسلسل ذرية سليمان .

*

وإذا نظرنا فى سلسلة النسب التى ذكرها متى ، نجد أنها تضم عددا من الزناة وأبناء الزنا ، بل ومومسا مشهورة جاء ذكرها فى سفر يشوع ، ويبين الجدول السابق أسماء هؤلاء الخطاة ، والذين يمكن قراءة قصصهم فى أسفار العهد القديم كالآتى :

يهوذا وفارص وثامار : جاء فارض من زنى يهوذا بن يعقوب بامرأة ابنه المتوفى والتى تدعى ثامار حسبما جاء فى سفر التكوين ٣٨ : ١٣ – ٢٩ .

راحاب الزانية : سفر يشوع ٢ : ١ ، ٦ : ١٧ .

راعوث المؤآبية : جاء موآب من زنى لوط (المزعوم) بابنته البكر حسب سفر التكوين ١٩ : ٣٠ – ٣٨ ، وراعوث موآبية حسب سفر راعوث ١ : ١ – ٤ ، ٤ : ١٣ – ٢٢ وتحرم توراة موسى دخول الموآبيين وأبناء الزنا فى جماعة الرب (المقدسة) حتى الجيل العاشر كما فى سفر التثنية ٢٣ : ٢ – ٣ .

داود وامرأة أوريا : سفر صموئيل الثانى ١١ : ١ – ٢٧ .

* *

تدنيس نسب المسيح الطاهر

العصر الثالث	العصر الثانى	العصر الأول
١ - شالتئيل	١ - سليمان (من التى لأوريا) (١)	١ - إبراهيم
٢ - زرُبَّابل	٢ - رحَبعام	٢ - إسحق
٣ - أبيهود	٣ - أبيا	٣ - يعقوب
٤ - الياقيم	٤ - آسا	٤ - يهوذا (١) (وَلَدَ)
٥ - عازور	٥ - يهوشافاط	٥ - فارص (٢) (وزارح من ثامار) (١)
٦ - صادوق	٦ - يورام	٦ - حصرون
٧ - أخيم	٧ - عُزّيا	٧ - أرام
٨ - اليود	٨ - يوثام	٨ - عميناداب
٩ - اليعازر	٩ - أحاز	٩ - نحشون
١٠ - متَّان	١٠ - حزقيّا	١٠ - سلمون (وَلَدَ)
١١ - يعقوب (وَلَدَ)	١١ - مَنَسَّى	١١ - بوعز (من راحاب) (٣)
١٢ - يوسف (رجل مريم التى ولد منها)	١٢ - آمون	١٢ - عوبيد (من راعوث) (٢)
١٣ - يسوع (الذى يدعى المسيح)	١٣ - يوشيا (وَلَدَ)	١٣ - يَسَّى
١٤ -	١٤ - يكنيا (وإخوته عند سَبى بابل »	١٤ - داود (١) (وَلَدَ)

يقول متى فى إنجيله : « فجميع الأجيال : من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلاً : **ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا - ١ : ١٧ »** .

الرموز والمصطلحات :

(١) من الزناة .   (٢) ابن زنا .   (٣) مومس .

ويقول جون فنتون : « يشير متى إلى أنه فى كل من العصور الثلاثة يوجد أربعة عشر جيلا ، **رغم أنه فى الحقيقة لم يذكر سوى ثلاثة عشر اسما فى العصر الأخير** » .

(تفسير إنجيل متى ، ص ٤٠)

*

حقيقة نسب المسيح :

لقد تحدثت الأناجيل – بل ومريم أيضا – عن المسيح باعتباره : ابن يوسف النجار . وتحدثت عنه الأناجيل باعتباره : ابن الله !

فهل يتفق هذا والفهم والعقل الذى دعت إليه الأسفار المقدسة ، بعد أن عابت على الأغبياء عديمى البصيرة ؟! .

ولقد رأينا كيف أدى الإصرار على نسب المسيح ليوسف ، من منطلق ما سمى بالأبوة الشرعية ، وجعل يوسف ينحدر من نسل داود الملك ، ثم مخاطبة المسيح فى الأناجيل بقولهم : يا سيد يا ابن داود ، إن احتوت سلسلة النسب هذه على عدد من الزناة !

أما كان الأولى – وهو الحق الذى لا مرية فيه على الإطلاق – أن ينسب المسيح لأمه الطاهرة البتول التى اصطفاها الله – سبحانه – على نساء العالمين ، فيقال : **المسيح ابن مريم** ؟ .

ولقد عرف بين الإسرائيليين من انتسب لأمه ، وكان من كبار القوم ، مثل يوآب بن صروية قائد جيش داود (سفر صموئيل الثانى ٨ : ١٦) وكان داود يخشى بنو صروية فى أول حكمه إذ قال : « أنا اليوم ضعيف وممسوح ملكا ، وهؤلاء الرجال بنو صروية أقوى منى – صموئيل الثانى ٣ : ٣٩ » . وكانت صروية هذه أختا لداود : « يسَّى ولد بكره أليآب ، وأبينا داب الثانى ... **وداود السابع . وأختاهم** : **صروية وأبيجايل** . وبنو صروية : ابشاي **ويوآب** وعسائيل ، ثلاثة . وابيجايل ولدت عماسا – أخبار الأيام الأول ٢ : ١٣ – ١٧ » .

ومن المؤكد أن مريم تجيء من نسل هارون . فقد كانت قريبة لامرأة زكريا التى كانت « من بنات هارون واسمها اليصابات – لوقا ١ : ٥ » . وقد قال الملاك لمريم حين جاء يبشرها قبل الحمل : « هوذا اليصابات نسيبتك (قريبتك) هى أيضا حبلى بابن فى شيخوختها .. لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله – لوقا ١ : ٣٦ – ٣٧ » .

ولقد كان هذا هو ما قرره ويلز أستاذ التاريخ بجامعة لندن فى كتابه : يسوع المسيحيين الأوائل [١] .

ويقال في العربية : « أخو تميم ، أى واحد منهم . وأخو الصدق ، أى ملازم له » ومثله : يا أخا العرب ، أى يا ابن العرب .

فحق لمريم – إذن – أن تنسب إلي هارون الذى كان أول من اختص هو وبنيه من بين بنى إسرائيل بالكهانة والحفاظ على الشريعة (سفر الخروج ٢٨ : ١) ، وقد اقتصرت على سبط لاوى وهو واحد منهم . ومن الجدير بالذكر أنه كان فى بدء ظهور المسيحية إنجيل ينسب لمتى ويعرف باسم : **إنجيل ميلاد مريم** ، وقد قبله عدد من الطوائف المسيحية باعتباره أصيلاً وقانونيا . وقد أشار إليه جيروم – أحد آباء الكنيسة الكبار الذى عاش فى القرن الرابع . « ومن هذا الإنجيل حاول العالم البريطانى فاوستس – الذى أصبح فيما بعد أسقف ريز – أن يثبت أن المسيح لم يكن من بيت داود ومن سبط يهوذا ، لأنه حسب ذلك الإنجيل لم تكن العذراء من سبط يهوذا وإنما كانت من سبط لاوى ، وإن أباها كان كاهنا » [٢] .

وعلى ضوء ما سبق ، نفهم لماذا قال قوم مريم لها ، عندما أتتهم تحمل وليدها : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ إِمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾

[سورة مريم : ٢٨] .

---

(1) - G . Wells : The Jesus of The Early Christians , London , 1971 , P . 12 .

(2) - The Lost Books of The Bible , published by : Forum Books New York , P . 17 .

وإن نسبة المسيح إلى أمه ، بأن يقال : **المسيح ابن مريم** ، لهو القول الحق الذى لا مراء فيه ، وهو الوسيلة الوحيدة لتخليص نسب المسيح الطاهر مما علق به من أذى ، وحل مشكلة الخلاف بين إنجيلى متى ولوقا حول سلسلة نسب المسيح [1] .

* *

---

(١) من أراد المزيد فليراجع كتاب المؤلف : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، الفصل الثالث .

٢ – أسماء التلاميذ

مسلسل عام	متى ، ومرقس (١٠ : ٢ - ٤)(٣ : ١٦ - ١٩)	لوقا (٦ : ١٤ - ١٦)
١	سمعان ، الذى يقال له بطرس	سمعان ، الذى سمَّاه أيضا بطرس
٢	أندراوس ، أخوه	أندراوس ، أخاه
٣	يعقوب بن زبدى	يعقوب
٤	يوحنا ، أخوه	يوحنا
٥	فيلبس	فيلبس
٦	برثولماوس	برثولماوس
٧	توما	توما
٨	متى العَشَّار	متى
٩	يعقوب بن حَلْفِى	يعقوب بن حَلفى
١٠	**لَبَّاوُس الملقب تدَّاوس**	**يهوذا أخا يعقوب**
١١	سمعان القانونى	سمعان ، الذى يدعى الغيور
١٢	يهوذا الاسخريوطى (الخائن)	يهوذا الاسخريوطى

يقول جورج كيرد : « عندما كُتب الإنجيل ، لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ : « **إن يهوذا بن يعــقوب لا يظهر فى القائمة المذكورة فى إنجيل كل من مرقس ومتى ، بينما شغل مكانه لباوس الملقب تداوس** » (تفسير إنجيل لوقا ، ص ١٠١) .

ويذكر **إنجيل يوحنا** أسماء بعض التلاميذ من بينهم يهوذا آخر غير الخائن وهو الذى يقول عنه : « يهوذا ليس الاسخريوطى – ١٤ : ٢٢ » .

وتجدر الإشارة إلى أن يهوذا أخا يعقوب المذكور فى ترجمة البروتستانت

قد ذكرته ترجمة الكاثوليك المأخوذة عن الترجمة المسكونية باسم : يهوذا بن يعقوب (منشورات دار المشرق) !

*

٣ - المسيح يلعن شجرة تين !

مرقس (١١ : ١٢ - ٢١)	اليوم	متى (٢١ : ١٢ - ٢١)
فى الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع . فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق ، وجاء لعله وجد فيها شيئا ، فلما جاء إليها لم يجد شيئًا إلا ورقا . **لأنه لم يكن وقت التين .** فأجاب يسوع وقال لها : لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد . وكان تلاميذه يسمعون . وجاءوا إلى أورشليم . **ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام .** ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة .	الأول (الاثنين)	**ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام ..** ثم تركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا وبات هناك .
وفى الصباح إذ كانوا مجتازين ، رأوا التينة قد يبست من الأصول . فتذكر بطرس وقال له : يا سيدى انظر . التينة التى لعنتها قد يبست .	الثانى (الثلاثاء) R.S.V.	وفى الصبح إذ كان راجعا إلى المدينة جاع . فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقا فقط . فقال لها : لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد . فيبست التينة فى الحال فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف يبست التينة فى الحال . فأجاب يسوع وقال لهم : الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكون فلا تفعلون أمر التينة فقط بل إن قلتم أيضا لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون .

يقول **جون فنتون** : « نجد فى إنجيل مرقس أن يسوع يبحث عن ثمر فى الشجرة ، ويلعنها فى نفس اليوم ، ثم يلفت بطرس نظر يسوع إلى جفافها **فى اليوم التالى** . لكنه نتيجة لما قام به متى من إعادة ترتيب الرواية ، فإن جميع أحداثها تقع **فى نفس اليوم** » (**تفسير إنجيل متى : ص ٣٣٦**) .

*

تحديد يومى الاثنين والثلاثاء جاء حسب الترجمة الإنجليزية القياسية المراجعة والتى تعرف اختصارا : R . S . V. ولا يهم هذا التحديد فى شىء ، إذ يكفى أن يقال : اليوم الأول ، واليوم الثانى .

*

ويقول المسيح فى موعظة الجبل : « أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم » (متى ٥ : ٤٤) ، لكنه هنا يلعن شجرة تين مسكينة لم يجد فيها ثمراً « **لأنه لم يكن وقت التين** » . وهذا بعض ما فعله كتبة الأناجيل بالمسيح !

*

إن كاتب هذه السطور يبرىء المسيح من هذا الموقف وأمثاله ، فالصورة الذهنية التى انطبعت عنده من القرآن عن المسيح تجعله أكبر من ذلك بكثير .

* *

٤ – تنبؤات باطلة !

● نهاية العالم تحدث فى القرن الأول الميلادى !

لقد اعتقد المسيحيون الأوائل – وعلى رأسهم تلاميذ المسيح – أن نهاية العالم وشيكة الحدوث ، وأن كثيرا من الذين عاشوا فى القرن الأول للميلاد وعاصروا المسيح سوف يشهدون تلك النهاية المفزعة التى يعقبها عودة المسيح ثانية إلى الأرض حيث تكون القيامة ويدان الناس أجمعون فيذهب فريق إلى الجنة والباقى إلى السعير . لقد قرر ذلك صراحة كتبة الأناجيل المتشابهة : متى ومرقس ولوقا . كما أن بولس كان يعتقد أنه سيبقى حيًّا لحين عودة المسيح ، فكتب يقول : « إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجىء الرب (يسوع) لا نسبق الراقدين (الأموات) . لأن الرب نفسه سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولا . ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم لملاقاة الرب فى الهواء (١) تسالونيكى – ٤ : ١٥ – ١٧ » .

يقول وليم باركلى تعليقا على هذه الفقرة : « عندما كتب بولس هذا ، فمن الواضح أن كان يتوقع حدوث **المجىء الثانى** للمسيح أثناء حياته وحياة أولئك الذين كان يكتب لهم . وهو يكتب فى الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى ٥ : ٢٣ أنه يصلى لله لكى « تحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجىء الرب يسوع المسيح » . إن الشىء ذا المغزى الخطير هنا هو ذكر الجسد . فمن الواضح – إذن – توقع بقائهم فى الجسد عند عودة المسيح ، أى أنه توقع عودة المسيح أثناء حياتهم وحياته » [١] .

أما إنجيل يوحنا فقد كان هو الوحيد الذى تجنب هذا المازق الخطير لأن هذا الإنجيل كتب فى مطلع القرن الثانى بعد أن تبين للناس عدم عودة المسيح سريعا إلى الأرض .

---

(1) W . Barclay : The Mind of St . Paul , London , 1958 , P . 165 .

علامات المجىء الثانى للمسيح :

« تكون علامات فى الشمس والقمر والنجوم .. قوات السماء تتزعزع . وحينئذ يبصرون ابن الإنسان (المسيح) آتيا فى سحابة بقوة ومجد كثير » (لوقا ٢١ : ٢٥ – ٢٧) .

لقد تنبأ المسيح أن ذلك سوف يحدث :

(١) قبل أن يكمل تلاميذه التبشير فى مدن إسرائيل !:

« هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات .. إن الحق أقول لكم : لا تكمّلون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان » (متى ١٠ : ٥ – ٧ ، ٢٣) .

(٢) قبل أن يموت بعض الذين وقفوا أمامه واستمعوا إليه !:

« الحق أقول لكم : إن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته » (متى ١٦ : ٨ ؛ مرقس ٩ : ١؛ لوقا ٩ : ٢٧) .

(٣) قبل أن يفنى الجيل الذى عاصر المسيح !:

« فيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا وما علامة مجيئك وانقضاء الدهر . فأجاب يسوع وقال .. للوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تتزعزع وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء .. ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير .. الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله » (متى ٢٤ : ٣ ، ٢٩ – ٣٤ ؛ مرقس ١٣ : ٣ ، ٢٤ – ٣٠ ؛ لوقا ٢١ : ٧ ، ٢٥ – ٣٢) .

● **تقول دائرة المعارف البريطانية تعليقا على تنبؤات الأناجيل :**

« إن الاعتقاد فى المجىء الثانى للمسيح كان دائما هو المعتقد الشرعى للمسيحيين وبالرغم من ذلك فإن نهاية العالم لم تحدث . وحتى **لو حدثت الآن فإنها لن تكون تحقيقا لما هو مكتوب فى العهد الجديد** ، **لأن ما كان منتظرا هو النهاية الوشيكة للعالم** » (طبعة ١٩٦٠ — ج ٢ — ص ٥٢٣) .

* *

● **المسيح يدفن فى الأرض : ثلاثة أيام وثلاث ليال ! :**

« أجاب قوم من الكتبة والفرنسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية . فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ، ولا تعطي له إلا آية يونان النبى ، **لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال** » (متى ١٢ : ٣٨ — ٤٠) .

ويزعم كتبة الأناجيل أن يسوع صلب **يوم الجمعة** ، ثم أنزل من على الصليب قبل الغروب ووضع فى قبر . **وفجر الأحد** اكتشفت « مريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين — مرقس ١٦ : ٩ » ، أن القبر خال من أى جسد . وبذلك لا تتعدى المدة التى قضاها ذلك الميت فى القبر : يوما واحدا ، وليلتين ، على أكثر تقدير .

● **وتقول التوراة للتمييز بين النبى الصادق والنبى الكاذب :**

« إن قلت فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب : **فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى ، فلا تخف منه** » (تثنية ١٨ : ٢١ — ٢٢) .

« **أما النبى الذى يطغى** فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، **فيموت ذلك النبى** » (تثنية ١٨ : ٢٠) ٠

وكان هذا بعض ما فعله كتبة الأناجيل بالمسيح [١] !!

* *

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول الملاحق من رقم (٢) إلى رقم (٧) راجع كتاب المؤلف : المسيح فى مصادر القصائد المسيحية ٠

٥ – من أقوال المسيح وتعاليمه

(١) المسيح لم يأت من أجل السلام على الأرض ! :

فهكذا قال المسيح :

« **لا تظنوا أني جئت لألقى سلاما على الأرض . ما جئت لألقى سلاما بل سيفا** – متى ١٠ : ٣٤ » .

« جئت لألقى نارا على الأرض ، فماذا أريد : لو اضطرمت ! **أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض ؟! كلا** ، أقول لكم ، بل انقساما – لوقا ١٢ : ٤٩ – ٥١ » .

فهل يتفق هذا مع لقب « أمير السلام » الذى يعطى للمسيح ، اقتباسا من فقرة من أشعيا ٩ : ٦ ، والتى تستخدم كنبوءة عنه ؟ .

وهل يتفق هذا مع دعاء الملائكة بالسلام على الأرض يوم مولد المسيح ، إذ « هذا ظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين : المجد لله فى الأعالى ، **وعلى الأرض السلام** ، وبالناس المسرة » كما ذكر لوقا فى إنجيله ٢ : ١٣ ؟! .

*

(٢) تعاليم التسامح المثالى غير قابلة للتطبيق :

لقد قال المسيح – فى موعظة الجبل – كثيرا من تعاليم التسامح المثالى ، مثل : « سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن [١] . وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر . **بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا** – متى ٥ : ٣٨ – ٣٩ » .

---

(١) ورد هذا فى أسفار موسى : خروج ٢١ : ٢٤ ؛ لاويين ٢٤ : ٢٠ ؛ تثنية ١٩ : ٢١ .

وعندما ننظر فى إمكانية تطبيق مثل هذا التسامح المثالى الجميل حقًا ، نجد الإنجيل يظهر لنا المسيح وقد نقض هذا التعليم . فها هو كاتب إنجيل يوحنا يقول : « سأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه . أجابه يسوع : أنا كلمت العالم علانية .. وفى الخفاء لم أتكلم بشىء . لماذا تسألنى أنا ؟! اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم .. ولما قال هذا ، **لطم يسوع واحد من الخدام** كان واقفا قائلا : أهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟! .

أجابه يسوع: إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى ، وإن حسنا فلماذا تضربنى ؟! – ١٨ : ٢٣ » .

وهكذا لم يدر له المسيح خده الآخر ، حسب تعليمه الذى دعا الناس إلى العمل به ! .

ولقد رأينا سلفا – فى الموضوع رقم (٣) من هذا الملحق – كيف انهارت القاعدة الذهبية الجميلة التى تقول : « أحبوا أعداءكم .. باركوا لاعنيكم » ، عندما « جاع المسيح فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق ، وجاء لعله يجد فيها شيئا ، فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا ، لأنه لم يكن **وقت التين** » فاغتاظ جدا لدرجة أنه لعنها ، إذ دعا عليها قائلا : لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد » . وما كان لهذه الشجرة من ذنب ، إذ لم يكن وقت التين . ولا نظن أحدا يمارى فى أنه لو دعا لها المسيح بأن تثمر ، فأثمرت – بدلا من أن يدعو عليها – لكان ذلك خيرا وأفضل .

ويلفت ج . ويلز – أستاذ التاريخ بجامعة لندن النظر إلى عدم التزام المسيح بتعاليمه الأخلاقية [١] مثل قوله : « **من قال : يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم** – متى ٥ : ٢٢ » .

إذا أن الأناجيل تظهر لنا المسيح وهو يشتم الكثيرين !

« أيها الحيات ،أولاد الأفاعى ،كيف تهربون من دينونة جهنم – متى٢٣ :٣٣ »

(1) G . Wells : The Jesus of The Early Christians , PP . 69 - 71.

وقد شتم تلاميذه ، إذ قال لبطرس : « اذهب عنى يا شيطان ! — متى ١٦ : ٢٣ » وشتم آخرين منهم : « أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان ! لوقا ٢٤ : ٢٥ » ، بل إنه شتم أحد الذين استضافوه ليتغدى عنده ، شتمه فى بيته : « سأله فريسى أن يتغدى عنده . فدخل واتكأ . وأما الفريسى فلما رأى ذلك تعجب أنه لم يغتسل أولا قبل الغداء فقال له الرب : أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس وأما باطنكم فمملوء اختطافا وخبثا . يا أغبياء ! .. ويل لكم أيها الفريسيون ! .. فأجاب واحد من الناموسيين وقال له : يا معلم ، حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضا . فقال : وويل لكم أنتم أيها الناموسيون ! — لوقا ١١ : ٣٧ — ٤٦ » .

*

(٣) تعاليم المسيح حول اليتامى :

لا شىء على الإطلاق ! ...

لم تذكر الأناجيل الأربعة تعليما محدداً للمسيح عن اليتامى ، تلك الطائفة التعسة بين البشر من أطفال وأولاد وبنات !

فلا نجد شيئا مثل قول الحق فى القرآن :

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا ﴾ [سورة الإنسان : ٨ — ٩] .

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ، وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ، وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [سورة النساء : ٢] .

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ، وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ، وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا ﴾ [سورة النساء : ٦] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ، وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (سورة النساء : ١٠] .

* *

الملحق رقم (٨)

بولس

بولس يهوديا :

اشتهر بولس بتعصبه ليهوديته ومشاركته فى اضطهاد المسيحيين وقتلهم والسطو على الكنيسة ٠ ويذكر سفر أعمال الرسل أن الذين قتلوا استفانوس - أول شهيد فى المسيحية – قد « خلعوا ثيابهم عند رجلى شاب يقال له شاول (بولس) وكان شاول راضيا بقتله – ٧ : ٥٨ ، ٨ : ١ » ٠

« وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن – أعمال الرسل ٨ : ٣ » ٠

بولس مسيحيا :

بعد رحيل المسيح بنحو ست سنين أعلن بولس فجاة أنه قد أصبح رسولا للمسيح أثر حادثة قال إنها وقعت له على طريق الذهاب إلى دمشق ٠ ولما كانت هذه الحادثة تعتبر الأساس الوحيد الذى بنى عليه بولس إعلانه قبول المسيحية ، ثم اختياره رسولا من المسيح للتبشير بها ، كان من اللازم تمحيصها حتى نتبين حقيقة الأمر ٠

لقد ذكر سفر أعمال الرسل قصة تحول بولس إلى المسيحية فى ثلاثة إصحاحات هى : التاسع ، والثانى والعشرين ، والسادس والعشرين ٠ يقول الإصحاح التاسع : « فى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء ٠ فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له : شاول ، شاول ، لماذا تضطهدنى ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذى تضطهده ٠٠

وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين : يسمعون الصوت ، ولا ينظرون أحدا – أعمال ٩ : ٣ – ٧ » .

أما الإصحاح الثاني والعشرون فيقول : « . . . . . . فأجبت : من أنت يا سيد ؟ فقال لي : أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده .

والذين كانوا معي : نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمني أعمال ٢٢ : ٨ – ٩ » .

وبمقارنة هاتين القصتين مع التركيز على الكلمات : (١) المكتوبة بالبنط الأسود ، (٢) الكلمات التى تحتها خط مستمر ، (٣) الكلمات التى تحتها خط متقطع ، يسهل تقرير الآتى :

(١) فى الإصحاح التاسع ، قال المتحدث : أنا يسوع (وهو نفسه ما جاء فى الإصحاح السادس والعشرين) ، أما فى الإصحاح الثانى والعشرين : فقد قال : أنا يسوع الناصرى .

(٢) فى الإصحاح التاسع : نجد أن المسافرين معه سمعوا الصوت ، أما فى الإصحاح الثانى والعشرين : فلم يسمعوا الصوت .

(٣) فى الإصحاح التاسع : نجد أن المسافرين معه لم ينظروا أحدا ، أما فى الإصحاح الثانى والعشرين : فقد نظروا النور .

من الواضح – إذن – أن هاتين القصتين المتناقضتين تثيران الشكوك فى حقيقة تحول بولس إلى المسيحية . ومما يزيد هذه الشكوك أن الروايات الثلاث التى ذكرت رؤيته النهارية على طريق دمشق ، قد اتفقت على أن المتحدث قال له : أنا يسوع (فى روايتين ، وفى ثالثة : أنا يسوع الناصرى) ، فكان الواجب الذى لا مفر منه أن يبدأ بولس مسيحيته بالدعوة إلى الإيمان بيسوع الناصرى ، إلا أنه بدلا من ذلك كان أول ما بدأ به هو الدعوة إلى الإيمان : بيسوع ابن الله ! .

فها هو الإصحاح التاسع - الذى ذكر القصة الأولى - يقول عن بدء النشاط التبشيرى لبولس : « وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله - أعمال ٩ : ٢٠ » •

لقد كان هذا أول معتقد أدخله بولس فى مسيحيته التى بدأ يبشر بها • ولقد كانت رسائله التى بدأ كتابتها قبل أقدم الأناجيل - إنجيل مرقس - بأكثر من خمسة عشر عاما ، هى المصدر الكتابى الذى تسربت منه •

تقول **الترجمة الفرنسية المسكونية** فى مدخل إلى العهد الجديد ، و تحت عنوان : بعض النظرات إلى العالم اليونانى الرومانى : « أخذ الناس ، قبل العهد المسيحى بقليل ، **ينظرون إلى الأباطرة نظرتهم إلى كائنات إلٰهية ، أبناء الله ، بل آلهة** • وهذا التطور ، وقد أثرت فيه تأثيراً كبيراً معتقدات الشعوب الشرقية (مصر وفارس) موافق لمنطق الأمور ••

وتشمل الحفلات (الدينية) صلوات طقسية (دعاء ودعوة الإله إلى الذبيحة وطلب للخيرات ، وذبائح ينظرون إليها نظرهم إلى هدايا تهدى للإلٰه) •• وقد ساعد اختلاط الأفكار والناس على نشر عبادات أصلها شرقى •• نذكر عبادات إيزيس ، وفيها اختبارات متتابعة تصحب التلقين **وتسير بالإنسان إلى الاندماج فى أوزيريس الإلٰه الذى مات ، فأعادته أساليب إيزيس السحرية إلى الحياة** • فقد كانوا يعلنون أنها تحتوى ضمانا للخلود [١] » •

« وهكذا ، شاع فى العالم اليونانى الرومانى ، قبل العصر المسيحى بقليل ، عدد من الأفكار الوثنية مثل : إطلاق اسم : ابن الله ، على كبار الشخصيات وصانعى الأعاجيب • وكذلك شاعت فيه ديانات الطقوس السرية التى تقوم على الإندماج فى الإلٰه من خلال الزعم بأكل لحمه وشرب دمه فى احتفال طقسى تكتنفه الأسرار ، ومن ثم يحصل العابد على الخلود

---

(١) العهد الجديد - منشورات دار المشرق - ص ١٥ - ١٦ •

الذى يتمتع به المعبود . ولقد اقتبس بولس هذه الأفكار وتأثر بها وسجلها فى رسائله ، وعنه أخذ كتبة الأناجيل .

يقول هيام ماكوبى فى كتابه : صانع الأسطورة : « أين نجد أول تعبير عن الفكرة التى تقول أن يسوع قد سن طقس القربان المقدس كشعيرة دائمة فى الكنيسة المسيحية ؟

إن أول توكيد لهذا نجده فى رسائل بولس ، والتى نجد فيها أيضا أول إشارة إلى فكرة القربان المقدس ، أى الفكرة التى تقول بوجود قوة للخلاص فى جسد المسيح ودمه . فهو يقول :

« لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم . اصنعوا هذا لذكرى . كذلك الكأس أيضا بعدما تعشوا قائلاً : هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى . اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى .. (١ - كورنثوس ١١ : ٢٣ - ٣٠) » .

فمن هذه الفقرة يتضح تماما أن بولس هو مخترع القربان المقدس كفكرة وكسنَّة راسخة الجذور . فهو يقول بكل وضـــوح أن هذا القربان قد تأســس بناء عــلى وحـــى تلقـــاه شخـــصيا ، إذ يقــول : لأننـــى تسلمت من الرب ما سلمتكم »[1] .

وهكذا ، أدخل بولس إلى مسيحيته التى بدأ يبشر بها فكرة أكل لحم المسيح وشرب دمه ، ممثلا فى خبز وخمر ، قربانا مقدسا - يجلب الخلاص لمعتنقى هذه الفكرة !

*

بولس وتلاميذ المسيح :

« لما جاء شاول (بولس) إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . **وكان**

(1) Hyam Maccoby : The Myth Maker , PP . 112 - 3 .

الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل – أعمال ٩ : ٢٦ – ٢٧ » » .

لكن بولس لم يلبث أن انقلب على برنابا ، كما انقلب على غيره من التلاميذ . فقد « حصل بينهما (بولس وبرنابا) مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر . وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرس . وأما بولس فاختار سيلا .. فاجتازا فى سورية – أعمال ١٥ : ٣٩ – ٤١ » .

ولقد استجوبته كنيسة أورشليم – وهى مجمع رسل المسيح ، وكان أول أساقفتها يعقوب الصغير الذى ذكره متى فى عداد أخوة المسيح وهم : « يعقوب ، ويوسى ، وسمعان ، ويهوذا – ١٣ – ٥٥ » ، وقد سماه بولس : « يعقوب أخا الرب – غلاطية ١ : ١٩ » – فقد كان هناك شكوى ضد بولس أمام مشايخ أورشليم من أنه « يعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلا أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد – أعمال ٢١ : ٢٠ – ٢١ » .

ولقد حفظ بولس هذا الموقف فى نفسه ، فطفق يكرر فى رسائله أنه ليس أقل من أعظم رسل المسيح وتلاميذه الذين عاشروه وتتلمذوا عليه : « ليتكم تحتملون غباوتى قليلا .. **لأنى أحسب أنى لم أنقص شيئًا عن فائقى الرسل –** (٢) كورنثوس ١١ : ١ – ٥ » .

« قد صرت غبيا وأنا أفتخر . أنتم ألزمتمونى ، لأنه كان ينبغى أن أمدح منكم ، إذ لم أنقص شيئا عن فائقى الرسل (٢) كورنثوس ١٢ – ١١ » .

*

فكر بولس :

كان بولس يظن أن عنده روح الله : « أظن أنى أنا أيضًا عندى روح الله – (١) كورنثوس ٧ : ٤٠ » .

وأنه سيدين ملائكة : « ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة – (١) كورنثوس ٦ : ٣ » .

وقد جعل كل الأشياء تحل له ، فكرر هذا الزعم كثيرا فى رسائله : « كل الأشياء تحل لى — (١) كورنثوس ٦ : ١٢ ، ١٠ : ٢٣ » .

ونسب بولس إلى الله جهالة — أى حماقة — وضعفا ! .. تعالى الله عما يقول علوا كبيرا .. « جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله أقوى من الناس — (١) كورنثوس ١ : ٢٥ » .

وكان بولس يعتقد أن شيطانًا قد وُكِّل إليه أن يضربه ، فيؤدبه لكى يتجنب الغرور ! « رسول الشيطان وكِّل إليه بأن يلطمنى لئلا أتكبر — (٢) كورنثوس ١٢ : ٧ »[١] .

ولقد كان بولس يدعو العبيد إلى الخضوع لسادتهم ، باعتبار أن هذه السيادة قد جاءت من الله : « جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام ، لئلا يفترى على اسم الله وتعظيمه — (١) تيموثاوس ٦ : ١ » .

« لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان إلا من الله ، والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله . حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة — رومية ١٣ : ١ — ٢ » .

لقد كان هذا شيئًا يرضى الحكام الرومان تماما ، وكان هذا المفهوم سائدا فى فجر المسيحية : فها هو بطرس — رئيس التلاميذ — يقول : « أيها الخدام : كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ، ليس للصالحين المترفقين فقط بل للعنفاء أيضا . لأن هذا فضل ، إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزانا متألما بالظلم (١) بطرس ٢ : ١٨ — ١٩ » .

ولقد أدى الإيمان بمبدأ الخضوع للسلاطين باعتبارهم يستمدون سلطانهم

---

(١) حسب الترجمة العربية للكاثوليك المأخوذة عن الترجمة الفرنسية المسكونية التى تقول : " Un ange de Satan chargé de me frapper , pour m'éviter ... " .

من الله إلى ما عرفته أوربا المسيحية فيما بعد من الزعم بأن الملك هو ظل الله على الأرض ، وأنه يحكم الشعب بتفويض إلٰهى ٠

*

بولس والمسيح :

لقد كان بولس أول من دعاه ابن الله ، ورفض تسميته : ابن الإنسان ، وهو ما استخدمه المسيح كثيرا عند الحديث عن نفسه ، حسبما تذكر الأناجيل الأربعة ، فى مثل هذه الأقوال : « ٠٠٠ ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه – متى ٨ : ٢٠ » ٠

« لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا – مرقس ٢ : ١٠ » ٠

« كل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له ٠ وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له – لوقا ١٢ : ١٠ » ٠

« متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى أنا هو – يوحنا ٨ : ٢٨ » ٠

ولقد كان المسيح يامر بإقامة كل ما جاء فى ناموس موسى والأنبياء ، فقال فى بدء دعوته : « **لا تظنوا أنى ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ٠ ما جئت لأنقض بل لأكمل** ٠ فانى أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل – متى ٥ : ١٧ – ١٨ » ٠

وفى نهاية دعوته : « خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ٠ **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه** ٠ ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون – متى ٢٣ : ١ – ٣ » ٠

ولقد أنذر المسيح من يتعدى ناموس موسى والأنبياء بأنه سيكون أحقر الناس يوم الدينونة ، فقال : « **فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السماوات ٠**

وأما من عمل وعلم فهذا يدعــى عظيما فى ملكوت السموات – متى ٥ : ١٩ » .

لكن بولس كان يقول بعكس ذلك تماما ، فهجومه على الناموس معروف ، ودعوته إلى التحرر من سلطانه ، تملأ رسائله . فقد قال : « **نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس** ، بل بإيمان يسوع المسيح .. **لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما** – غلاطية ٢ : ١٦ » .

« **قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح** ، لكى نتبــرر بالإيمان – ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب – غلاطية ٣ : ١٠ – ٢٥ » .

ولقد كان المسيح يعلم الإسرائيليين أن جوهر الناموس يتركز فى : « **الحق والرحمة والإيمان** . كان ينبغى أن تعملوا هذه – متى ٢٣ : ٢٣ » .

وأن الله يريد الرحمة ، لا الذبيحة والقربان ، فقال المسيح : « اذهبوا وتعلموا ما هو : **إنى أريد رحمة لا ذبيحة** – متى ٩ : ١٣ ، ١٢ : ٧ » .

والمسيح يشير هنا إلى ما جاء فى أسفار الأنبياء : « **إنى أريد رحمة لا ذبيحة ، ومعرفة الله أكثر من محرقات** – هوشع ٦ : ٦ » .

وقد أكد داود هذا المعنى من قبل ، فقال فى مزاميره : « بذبيحة وتقدمه لم تسر . محرقة وذبيحة خطية لم تطلب – مزمور ٤٠ : ٦ » .

« ذبائح الله هى روح منكسرة – مزمور ٥١ : ١٧ » .

لكن بولس ، خلافا لكل ذلك ، يصر على أن الذبيحة هى السبيل إلى الخلاص والمصالحة مع الله . وأن تلك الذبيحة لابد أن تكون المسيح ابن الله ، الذى يقتل على الصليب رغما عنه ؛ بزعــم أن ذلك يكــفر عن خطايا البشر : « ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه – رومية ٥ : ١٠ » .

« الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين – رومية ٨ : ٣٢ » .

ولهذا أغمض بولس عينيه عن كل ما جاء فى مسيحية المسيح الحقة الفاضـــلة ، وأقــام بدلاً منها مســيحية الصـلب وسفك الدم : « **إنى لم أعزم**

أن أعرف شـــيئا بيـــنكم إلا يســـوع المسيح وإياه مصلوبا – (١) كورنثوس ٢ : ٢ » ٠

هذا – ولقد جرى التقليد على أن بولس جعل المسيح إلٰها ، وفق عبارة يستشـــهد بها كثيراً ، تقول : « ومنهم (الإسرائيليين) المسيح ، حسب الجسد ، **الكائن على الكل إلٰها مباركا إلى الأبد** ، آمين رومية ٩ : ٥ » ٠

لكن هذا القول أصـبح فى حاجة إلى إعادة نظر على ضوء الترجمات المختلفة ، وكم غيرت المقارنة بين الترجمات من مفاهيم ومعتقدات سادت قرون عديدة ثم ثبت زيفها ٠ وما حذف فقرة التثليث ببعيد ٠ كذلك أصبح هذا القول فى حاجة إلى مراجعة ، على ضوء مفهوم بولس لوضع المسيح بالنسبة لله كما عبر عنه فى رسائله ٠

إن هذا الموضوع الخطير يتطلب بحثا بشىء من التفصيل ، وليس نقطة فرعية أو تعليقا جانبيا ٠ وهـــذا ما نطـــرحه الآن ، فى صيغة سؤال نقدم له الإجابة ٠

* *

هل جعل بولس المسيح إلٰها ؟!

لقد تحدث بولس عن عقيدته فى الله ، فعبر فى فقرات كثيرة من رسائله عن إيمانه بالله الواحد . وحين تحدث عن المسيح فقد عبر عن اعتقاده بإنه إنسان قام بدور الوساطة بين الله والناس ، فقال : « لأن الله واحد ، والوسيط بين الله والناس واحد ، ألا وهو المسيح يسوع الإنسان – (١) تيموثاوس ٢ : ٥ » .

وقد اتفقت على ذلك الترجمات المختلفة .

وحين تحدث عن وضع المسيح أمام الله أعلن ، بصراحة ووضوح أنه يتحدث عن : اثنين ، لا عن شيء واحد ، **وأن الله هو « الأعلى »** ، ولا شك .

فقد اتفقت جميع التراجم العربية والإنجليزية والفرنسية على مفهوم قول بولس : « وأريد أن تعلموا أن : رأس كل رجل هو المسيح

ورأس المرأة هو الرجل

ورأس المسيح هو الله –

(١) كورنثوس ١١ : ٣ » .

من هذا – ومثله كثير فى رسائل بولس – نجد عقيدة واضحة ، لا تخلط بين الله والمسيح ، وتقرر أنه : – لا إلٰه إلا الله .

– المسيح إنسان رسول

من الله إلى الناس .

فإذا وجدنا بعد ذلك قولا ينسب لبولس ، ويجعل المسيح « إلٰها على الكل » أو ما شابه ذلك ، فقد ناقض بولس نفسه ولا شك وشطح بعيداً عن الحقيقة إلى الظنون والأوهام ، وهدم ما جاء فى كتب موسى والنبيين من بعده ، ورفض كلام الله على لسان أشعياء « اجتمعوا يا كل الأمم معا ولتلتئم القبائل .

قبلى لم يصور إلٰه ، وبعدى لا يكون .

أنا الرب وليس آخر ، لا إلٰه سواى .

بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشابه ؟! .

إني أنا الله وليس آخر . الإله وليس مثلي – أشعياء ٤٣ : ٩ – ١٠ ، ٤٥ : ٤ ، ٤٦ : ٥ ، ٩ » .

إن هذا القول المنسوب لبولس يحتاج إلى تمحيص حتى نتبين حقيقة هذا الفكر العقائدى المتقلب الذى يتردد بين عقائد أهل اليمين مرة وعقائد أهل الشمال مرات ومرات .

تقول ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك : « ورؤساء الآباء ومنهم المسيح بحسب الجسد الذى هو على كل شيء **إله مبارك مدى الدهور** . آمين – رومية ٩ : ٥ » .

وتتفق مع هذا ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت .

وكذلك تتفق ترجمة العهد الجديد للكاثوليك وترجمة العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية مع هذا القول ولكن . بصيغة تقول : « والآباء ومنهم المسيح من حيث أنه بشر ، وهو فوق كل شيء إله مبارك أبد الدهور . آمين » .

وتتفق مع هذا ترجمة الملك جيمس الإنجليزية [١] .

أما التراجم الإنجليزية والفرنسية الأخرى والأحداث فإنها تقول شيئاً آخر .

فالترجمة القياسية المراجعة تقول [٢] : « وإليهم ينتسب الآباء ، ومن جنسهم المسيح حسب الجسد . **تبارك الله الذى هو فوق كل شيء إلى الأبد** . آمين » .

---

(1) " Whose are the fathers , and of whom as concerning the flesh Christ came , who is over all , God blessed forever . Amen " .

(2) " to them belong the patriarchs , and of their race , according to the flesh , is the Christ . God who is over all be blessed for ever . Amen "

وتتفق مع هذا ترجمة « إنجليزية اليوم » **حيث تجعل التبريك خاصا بالله فقط ، ولا تنسب للمسيح ألوهية** (١) .

وبالنسبة للتراجم الفرنسية : نجد أن ترجمة لوى سيجو تتفق مع التراجم العربية فى جعل التبريك والألوهية يتعلقان بالمسيح ، إلا أنها تشير فى الحاشية إلى أنه يمكن ترجمة تلك الفقرة بما يخالف ذلك ، **حيث يتعلق التبريك والألوهية بالله** (٢) .

وقد فعلت ذلك أيضا الترجمة الفرنسية المسكونية (٣) حيث ذكرت فى الحاشية أن بعض المفسرين يختمون الجملة الأولى بكلمة المسيح ، لتبدأ الجملة الثانية بتسبيحة لله الآب ، مع إشارة هامة إلى أن هذا القول له نظائر كثيرة فى رسائل بولس فهو يتفق مع أسلوبه كما جاء فى رسائله التى أشير إليها وقال فيها : « الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون **الخالق الذى هو مبارك إلى الأبد** . آمين – رومية ١ : ٢٥ » .

« **مبارك الله** أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية – (١) كورنثوس ١ : ٣ » .

« الله أبو ربنا يسوع المسيح **الذى هو مبارك إلى الأبد** يعلم أنى لست أكذب – (٢) كورنثوس ١١ : ٣١ » (٤) .

(1)" ... and Christ , as a human being , belongs to their race . May god , who rules over all be praised forever : Amen " .

(2) " On peut traduire aussi : de qui est issu le Christ selon la chair . Que le Dieu qui est au - dessus de toutes chose soit béni éternellement . Amen ! " .

(3) " Certains cimmentateurs , coupant la phrase aprés Christ , comprennent la fin du Verset comme une doxologie adressée au Pere : celui qui est Dieu au dessus de tout , est (ou : soit) béni eternellement . Amen " .

(4) RSV : " The God and Father of the Lord Jesus , **he who is blessed for ever , knows that I do not lie** .

TOB : " Dieu , le père du Seigneur Jesus , qui est béni pour l' éternité , sait que je ne mens pas " .

« **مبارك الله** أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السموات فى المسيح – **أفسس ١ : ٣** » ٠

من كل ما سبق يتضح أن بولس لا يمكنه أن يقول أن المسيح « كائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد » **وإنما التبريك والألوهية لله وحده وليست للمسيح** ٠

وإذا كان بولس قد انزلق وجعل المسيح إلها فقد ناقض نفسه إذن فى عقيدة التوحيد التى صرح بها كثيرا فى رسائله ، ولا يمكن أن يصدر عنه هذا القول – وما شابهه – وهو فى حالة وعى وتيقظ ، بل لابد أن يكون قدر اعترته غيبوبة كتلك التى يقول فيها عن نفسه ، حسب ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت : « وحدث لى بعد ما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلى فى الهيكل **أنى حصلت فى غيبة** – أعمال الرسل ٢٢ : ١٧ » ٠

أو بتعبير العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية : « بينما أنا أصلى ، **غبت عن الحس** » ٠

*

الله هو الأعظم :

لقد عبر المسيح عن ذلك صراحة فقال : الله « أعظم منى – يوحنا ١٤ : ٢٨ » وقال المسيح أن : الله « المثل الأعلى فى السموات والأرض » وله الكمال المطلق والصلاح المطلق ، فقال لمن دعاه : المعلم الصالح : « لماذا تدعونى صالحا ؟! ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله – مرقس ١٠ : ١٨ » ٠

ولقد عبر بولس عن مثل هذا الفكر ، فبين عند الحديث عن الله والمسيح معه أن الله هو الأعظم دائما ، وهو الأكبر دائما أو بإيجاز : الله أكبر ! فقال – كما رأينا – أن المسيح هو رأس كل رجل أى سيده ، وأن الله هو رأس المسيح أى سيده (١ – كورنثوس ١١ : ٣) ٠

وقال بولس : « أما أنتم فللمسيح ، والمسيح لله – (١) كورنثوس ٣ : ٢٣ » .

« حينما يقول إن كل شيء قد أُخضع ، فواضح أنه غير الذى أخضعَ له الكل .

ومتى أخضع له الكل ، فحينئذ الابنُ نفسه أيضا سيخضعُ للذى أخضع له الكل (أى يخضع لله) – (١) كورنثوس ١٥ : ٢٧ – ٢٨ » .

وقال بولس : « أيها النساء اخضعن لرجالكن ، كما للرب . لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة ... ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح ، كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء – أفسس ٥ : ٢٢ – ٢٣ » .

ويشار فى حاشية هذه الفقرة إلى ما جاء فى سفر التكوين ٣ : ١٦ من قضاء الله بخضوع المرأة لرجلها خضوع سيادة ، إذ يقول : « إلى رجلك يكون اشتياقك ، **وهو يسود عليك** » .

مما سبق يتبين بوضوح أن الفكر اللاهوتى لبولس يقوم على أن :

– الله واحد .

– الله والمسيح اثنان ، وليسا شيئًا واحداً .

– الله هو الأعظم ، والمسيح خاضع له خضوع سيادة .

وينتج عن ذلك :

أن بولس لا يعلم شيئا عن التثليث الذى استحدثه آباء الكنيسة فيما بعد على مراحل ، حين قرروا فى مجمع نيقية ٣٢٥ م أن « المسيح ابن الله المولود من الآب ، وأنه إله مساو للآب فى الجوهر » . ولم يذكروا شيئًا عن الروح القدس فى ذلك الحين ، فلم يدخل ضمن الآلهة . ثم قرروا فى مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١ « أن الروح القدس خالق غير مخلوق ، وأنه إله من طبيعة الآب

والابن ، وأن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم ، وأن هؤلاء الثلاثة إله واحد » .

وهكذا دخل التثليث على مسيحية المسيح التى كانت فى أول أمرها توحيداً .

تقول **دائرة المعارف الأمريكية** : « لقد بدأت عقيدة التوحيد ،كحركة لاهوتية ، بداية مبكرة جداً فى التاريخ . وفى حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين .. » .

إن عقيدة التثليث التى أقرت فى القرن الرابع الميلادى ، لم تعكس بدقة التعليم المسيحى الأول فيما يتعلق بطبيعة الله . لقد كانت ، على العكس من ذلك ، انحرافا عن هذا التعليم .. إن التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة ، أما التثليث فإنه انحراف عن هذه القاعدة .. إن أغلب المسيحيين لم يقبلوا التثليث ، ونجد ترتليام (٢٠٠ م) الذى كان أول من أدخل تعبير التثليث فى التفكير المسيحى ، مسؤولا عن الفقرة التى تقول أن فى أيامه : كان غالبية الشعب ينظرون إلى المسيح باعتباره إنساناً » (١) .

*

هذا ، ولقد استحدث بولس فى المسيحية فكرة القربان المقدس بأكل لحم المسيح وشرب دمه ، وأن موته على الصليب كان ضرورة من أجل المصالحة مع الله والتكفير عن خطايا البشر !

ويرفض هذا الفكرَ البولسى طائفةُ « الموحدين — من المسيحيين — Unitarians » وهى طائفة موجودة منذ أيام المسيح حتى اليوم تؤمن أن المسيح ما هو إلا بشر رسول قد خلت من قبله الرسل ، ولها كنائسها التوحيدية المنتشرة فى أوربا وأمريكا الشمالية .

---

(1) ENCYCLOPEDIA AMERICANA , 1959 , vol . 27 P . 294 .

وتعرض **دائرة المعارف الأمريكية** أساسيات فكر « **الموحدين** » المسيحيين ، حسبما جاء في أقوالهم ، كالآتي :

« إن يسوع فكر في نفسه كزعيم ديني هو المسيا ، **وليس كإله وبالمثل اعتقد التلاميذ أن يسوع مجرد إنسان** . إذ لو كان عند أي من بطرس أو يهوذا أي فكرة عن أن يسوع إله ، لما كان هناك أي تفسير معقول لإنكار بطرس ليسوع (حسبما تذكره الأناجيل بعد القبض عليه والذهاب به إلى بيت رئيس الكهنة) . وما كان هناك تبرير لخيانة يهوذا . **إن الإنسان لا يمكن أن ينكر أو يخون كائنا إلهيا له كل القوى** .

إن الحقيقة المزعومة بأن يسوع مات من أجل خطايانا ، وبهذا وقانا لعنة الله ، **إنما هي مرفوضة قطعا** . إن الاعتقاد في أن يسوع كان له هذه النتيجة ، إنما يعني الطعن في أخلاق الله .

إن الله يجب ألا يعرف عن طريق اللعنة ، بل عن طريق الحلم والحكمة والمحبة . إن الأب الحكيم والمحب لبنيه ، لا يهلك الولد المخطىء الذي يقع في المعاصي ، لكنه يعلمه ويقوده في طريق الحكمة والفضيلة .

إن الموت الدموي على الصليب من أجل إطفاء لعنة الإله ، لهو أمر مناقض للحلم الإلهي والصبر والود والمحبة التي لا نهاية لها .

– إن الموحدين ينظرون إلى يسوع باعتباره واحداً من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر . إنه لو كان إلها فإن المثل الذي ضربه لنا بعيشته الفاضلة يفقد كل ذرة من القيمة ، حيث أنه يمتلك قوى لا نملكها . إن الإنسان لا يستطيع تقليد الإله » (١) .

*

---

(١) المرجع السابق – ج ٢٧ – ص ٣٠٠ – ٣٠١ .
وراجع أيضا كتاب المؤلف : **طائفة الموحدين من المسيحيين** .

بولس جعل المسيح لعنة :

إنها صدمة كبيرة ولا شك ، ولكن هكذا كان فكر بولس الذى سطره فى رسائله ، إذ يقول فى فلسفته لفكرة صلب المسيح كفارة عن خطايا البشر :

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، **إذ صار لعنة لأجلنا** ، لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة – غلاطية ٣ : ١٣ » ٠

والمكتوب الذى يشير إليه بولس ، هو ما جاء فى توراة موسى خاصا بالموتى الذين يُصلّبون على خشبة : « إذا كان على إنسان خطية حقها الموت ، فقتل وعلقته على خشبة ، فلاتبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم ، **لأن المعلق ملعون من الله** ، فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلٰهك – تثنية ٢١ : ٢٢ – ٢٣ » ٠

لقد كان الصليب وسيلة إعدام منذ آلاف السنين ، فقد استخدمه الفراعنة والرومان وغيرهم ٠ وكم حدثت من ثورات على قوى البغى الحاكمة ، وقُهر الثائرون وماتوا بطرق وحشية وعلقت جثثهم على الخشب أياماً وليالى ، فهل كان هؤلاء الثائرون على مظالم قوى البغى ملعونين من الله لمجرد كونهم قد علقوا على أخشاب ؟! ٠

إن بعض العلماء يرى أن بولس قد أخطأ فى فهم فقرة التثنية هذه الخاصة بلعن المعلقين على الخشبة ، وأن فلسفتها على هذا النحو تعتبر شيئا غريبا على الفكر اليهودى ٠ يقول هيام ماكوبى : « إن الفكرة التى تقول بأن كل من علق على خشبة يكون ملعونا ، إنما هى فكرة غريبة على فكر اليهود الفريسيين ، وأن معلميهم لم يفسروا فقرة التثنية (٢١ : ٢٣) بهذا المفهوم ٠ وحتى لو كان الشخص المعلق مذنباً بجريمة عقوبتها الموت ، ما كان يعتبر تحت لعنة بل على العكس من ذلك ، إذ أنه قد كفَّر عن جريمته بتعرضه للإعدام ٠ ولقد كان الأحبار يفسرون فقرة التثنية (٢١ : ٢٣) هكذا : يعلق جسد من نفذ فيه حكم الإعدام على قائم لفترة قصيرة ، ولكن لابد من إنزاله من على ذلك القائم

فلا يبيت عليه ليلاً ، لأنه لو بقيت جثته معـلقة ليلاً ، فإن هذا يجلب لعنة من الله .

وبعبارة أخرى ، فإن اللعنة لا تحل بمن نفذ فيه حكم الإعدام ، بل بأولئك المسئولين عن تعريض ذلك الجسد إلى الإهانة . وفى تفسير آخر : يعتبر تجديفاً على الله أن يسمح بتعليق جسد من نفذ فيه حكم الإعدام ، لأن جسد الإنسان خلق على صورة الله (1) ، كما تقول التوراة فى سفر التكوين ١ : ٢٧ » .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يذهب فيها بولس بعيداً عن المضمون الحقيقى لفقرات يقتبسها من أسفار العهد القديم ويفلسفها وفق هواه . فلقد سطر فى رسائله : « لأنه مكتوب : سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء — (١) كورنثوس ١ : ١٩ » .

إن بولس يشير هنا إلى ما جاء فى سفر أشعياء ٢٩ : ١٣ — ١٤ ، الذى يقول : « قال السيد : لأن هذا الشعب قد اقترب إلى بفمه وأكرمنى بشفتيه وأما قلبه فأبعده عنى ، وصارت مخافتهم منى وصية الله معلمة . لذلك هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجبا وعجيبا . **فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه** » .

من الواضح أن هذا لم يكن حكما عاما يقضى « بإبادة حكمة الحكماء ورفض فهم الفهماء » — كل حكماء وكل فهماء الجنس البشرى — كما فهم بولس خطأ . إنما كان ذلك عقابا مؤقتا نزل بالشعب الإسرائيلى خلال فترة معينة من تاريخه . فلقد ظهر أشعياء فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، وهو القرن الذى شهد القضاء التام على مملكة إسرائيل على يد الأشوريين عام ٧٢٢ ق . م . وضاع هذا الشعب الإسرائيلى بحكامه وحكمائه وفهمائه وجهاله ، وكان ما قاله أشعياء متعلقا بضلال بنى إسرائيل وضياعهم .

إن **لعنة المسيح** التى اخترعها بولـــس يترتب على التصديق بها نتائج

---

(1) Hyam Maccoby , The Myth Maker PP - 67 - 8 .

خطيرة ، لا يحتاج تقريرها إلى مجهود فكرى أو معالجة لغوية عميقة . فالقول بأن كل من علق على خشبة ملعون ، يعنى أن كل مصلوب ملعون . ولقد قال بولس **أن المسيح صار لعنة** لأنه علـق على خشبة الصليب ، أى أن **المسيح ملعون !** .

فهل يقبل أى مسيحى — تحت أى ظرف من الظـروف — هذا القـول وما يترتب عليه ؟! .

إن بولس يقول : « **مع المسيح صُلبت** ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى — غلاطية ٢ : ٢٠ » .

ويقول : « يسوع المسيح الذى به **قد صلب العالم لى** ، **وأنا للعالم** — غلاطية ٦ : ١٤ » .

والتفسير الشائع لمثل هذه الأقوال ، أن المسيحيين يصلبون مع المسيح — تبعا لقدوتهم بولس — فيحيون الحياة الحقة . **وحيثما يوجد مصلوبون** ، **يوجد ملعونون !** ومن له أذنان للسمع فليسمع ، لعله يفهم ! .

أما بعد : لقد بين المسيح مستقر الملعونين يوم الدينونة — وهو معلوم بالضرورة عند كل المؤمنين بالله — حين يقال لهم : « **اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته** — متى ٢٥ : ٤١ » .

فيومئذ يؤذن ﴿ **مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾

[سورة الأعراف : ٤٤] .

* *

هل قال بولس : « كل الكتاب موحى به من الله » ؟!

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت : « **كل الكتاب هو موحى به من الله** ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر – (٢) تيموثاوس ٣ : ١٦ » .

وهو ما تقوله بقية التراجم العربية الأخرى ، وكذلك ترجمة لوى سيجو الفرنسية .

أما ترجمة الملك جيمس الإنجليزية [(١)] فيلاحظ أنه قد أضيف إلى المتن فعل الكينونة بحروف مائلة (تحته خط فى الحاشية) ، فغير المعنى تماما حيث جعل هذه الترجمة تتفق مع الترجمات سالفة الذكر .

هذا – وتتفق الترجمة القياسية المراجعة فى المتن مع التراجم العربية إلا أنها تشير إلى أنه هناك ترجمة أخرى لهذه الفقرة تقول [(٢)] : « **كل كتاب موحى به من الله هو أيضا نافع للتعليم والتوبيخ** . . . » .

وهو ما تقوله ترجمة « إنجليزية اليوم » وحاشيتها [(٣)] .

وهو ما تقوله أيضا الترجمة الفرنسية المسكونية فى حاشيتها [(٤)] .

نحن الآن أمام ترجمتين : الأولى – تقليدية متعارف عليها تقول : « **كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم** . . . . . » .

وأما الثانية – فقد بدأت تظهر فى حواشي التراجم الحديثة وتقول :

---

(1) All scripture is given by inspiration of God , and is profitable for doctrine , for reproof , for correction , for instruction in righteousness " .

(2) " Every scripture inspired by God is also.. " .

(3) " Every scripture inspired by God is also useful .. " .

(4) " Toute Écriture , **inspirée de Dieu** , est utile.. " .

« **كل كتاب موحى به من الله** هو أيضا نافع للتعليم ٠٠٠ » ٠

إن الفرق بين المعنيين كبير،ولا يمكن أن تكون إحداهما مرادفا للأخرى ٠ وذلك أن القول بأن : « **كل كتاب موحى به من الله** ، نافع للتعليم » هو حقيقة أولية يسلم بها كل المؤمنين ، ولا تحتاج إلى برهان ٠

*

أما القول الثانى بأن : « **كل الكتاب هو موحى به من الله** ، ونافع للتعليم » فهنا وقفة لابد منها ، تبدأ بالتساؤل عن أى كتاب يتحدث بولس ٠

فمن المعلوم أن رسائل بولس كانت هى أول كتابات قبلت فيما بعد فى العهد الجديد ، وأن كتاباته سبقت كتابة أقدم الأناجيل – إنجيل مرقس – بأكثر من ١٥ عاما ، وإن رسائله لم تلق قبولا شعبيا قبل نهاية القرن الأول الميلادى ، أما الأناجيل الأربعة فقد تأخر قبول سلطتها إلى ما بعد عام ١٧٠ ميلادية ٠

وأخيرا – وهو الأهم – نجد أن هذا العدد الذى يتحدث فيه بولس عن « الكتاب الموحى به من الله » قد سبقه العددان ١٤ ، ١٥ ٠

وهما يقولان : « أما أنت فاثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفا ممن تعلمت ٠

وأنك من الطفولية تعرف **الكتب المقدسة** القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع – (٢) تيموثاوس ٣ : ١٤ – ١٥ » ٠

من كل ما سبق يتبين أن « الكتاب الموحى به من الله » ٠ والذى تحدث عنه بولس إنما هو أسفار العهد القديم ، الذى كان اسمه آنذاك : « **ناموس موسى والأنبياء والمزامير** – لوقا ٢٤ : ٤٤ »أو يقال لها باختصار : « **الكتب** – لوقا ٢٤ : ٤٥ » ٠

وهى أشياء يمكن أن يكون تيموثاوس قد تعلمها منذ طفولته ، حيث يقول العهد الجديد للكاثوليك فى تقديمه لرسالة بولس إلى تيموثاوس : « كانت **أمه أونيقة وجدته لأمه لؤيس يهوديتين** ٠٠ وكانت أمه وجدته من أهل التقى **فعلمتاه الأسفارالمقدسة منذ نعومة أظفاره** » ٠

والآن بعد أن أجبنا على التساؤل الخاص بالكتاب الذى تحدث عنه بولس باعتباره وحيا من الله ، وأن المقصود هو **أسفار العهد القديم** ، ننتقل الآن إلى السؤال الثانى والبدهى ، وهو : هل كل أسفار العهد القديم موحى بها من الله ؟ .

إن الإجابة هنا يسيرة وحاضرة يترجمها واقع نظرة العالم المسيحى إلى هذه الأسفار . فدون التعرض لما بها من أخطاء علمية وتاريخية وعقائدية وتحريف لنصوص – وكل هذه أصبحت حقائق مسلما بها من قبل السلطات الدينية وعلماء المسيحية – **فيكفى الإشارة إلى أن الأسفار السبعة التى تقبلها الكنيسة الكاثوليكية تحت اسم « الأسفار القانونية الثانية »** ، **يرفضها البروتستانت وغيرهم باعتبارها ليست من وحى الله** .

إذن العالم المسيحى يسلم بأن « **كل الكتاب** » الذى تحدث عنه بولس بأنه « موحى به من الله » هو فى معتقد الكثير من المسيحيين « **غير موحى به من الله** » .

ولما كانت اللغة الإغريقية التى نقلت عنها سائر الترجمات الأخرى تسمح بأن تكون ترجمة تلك الفقرة هى : « **كل كتاب موحى به من الله هو أيضا صالح للتعليم** » صار من المؤكد أن هذه هى الترجمة الوحيدة الصادقة لأنها : تتفق واللغة ، وتتفق وحقائق الأمور .

شتان بين أن يقال : « كل الكتاب هو موحى به من الله . . . » فى صورة تعميم خاطىء ، يختلط فيه الحابل بالنابل ، وبين أن يقال : « كل كتاب موحى به من الله ، هو صالح للتعليم » . فهذا القول الأخير إنما هو حقيقة بدهية لا تحتاج إلى بحوث لغوية أو علمية لإثبات صحتها .

القول الحق إذن هو : « كل كتاب موحى به من الله ، هو نافع للتعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب فى البر » .

*

هذا – ومن الجدير بالذكر أن أى من كتبة الأناجيل الأربعة لم يقل أبدا أن

ما يكتبه قد جاء وحيا من الله ، وذلك خلافا للكثير من أسفار العهد القديم التى تقرر فى مطلعها أنها وحى من الله إلى نبيه . ومن أمثلة ذلك : « كلم الله موسى وقال له : أنا الرب ، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بإنى الإله القادر على كل شيء .

ثم كلم الرب موسى قائلاً : ... ... – خروج ٦ : ٢ : ١٠ » .

« رؤيا أشعياء بن آموص ... اسمعى أيتها السموات واصغى أيتها الأرض لأن الرب يتكلم ... – أشعياء ١ : ١ – ٢ » .

« قول الرب الذى صار إلى يوئيل ... – يوئيل ١ : ١ » .

« رؤيا عوبديا . هكذا قال السيد الرب ... – عوبديا ١ : ١ » .

كذلك تقرر آيات القرآن وسوره أنها وحى من الله :

﴿ الر ، كِتَابٌ أنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سورة إبراهيم : ١] .

﴿ الم * اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾ [سورة آل عمران : ١ – ٣] .

﴿ سُورَةٌ أنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة النور : ١] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أحَدًا ﴾

[سورة الكهف : ١١٠] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ، وَلاَ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾

[سورة الأنبياء : ٤٥] .

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النحل : ١٠٢] .

أما الأناجيل ، فإن موقفها مختلف تماماً بالنسبة للوحى . فها هو لوقا يبدأ كتابة سلسلة من الخطابات إلى عزيز لديه يدعى ثاوفيلس ، يحدثه فيها عما ترامى إليه من أخبار المسيح ، ويبعثها إليه على التوالى حسبما تساعده الظروف . وتمر عشرات السنين بعد رحيل المسيح وعشرات وعشرات بعد موت لوقا الذى لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، ولم يسعده الحظ برؤيته ولومرة واحدة لأنه كان من الجيل الثانى بعد جيل المسيح ، فتعمد السلطات الكنسية إلى تجميع رسائله وتقسيمها إلى قسمين ، تسمى الأول منها : إنجيل لوقا ، وتسمى الثانى : سفر أعمال الرسل .

لقد كان الرجل صادقًا مع نفسه ومع صديقه ثاوفيلس حين بدأ رسائله بما نجده الآن فى مقدمة إنجيله التى يقول فيها : « إذ كان كثيرون قد أخذوا **بتأليف قصة** فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء **معاينين وخداما للكلمة** . رأيت أنا أيضا ، **إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق ،** أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به – لوقا ١ : ١ – ٤ » .

ويتضح من ذلك عدة أمور :

– أن كثيرين قد أخذوا فى تأليف قصص عن المسيح وبشارته ومن المعلوم أن القرنين الأول والثانى من الميلاد قد انتشرت فيهما أناجيل كثيرة . وتذكر لنا دائرة المعارف البريطانية أسماء العشرات من تلك الأناجيل .

– وإن لوقا كتب ما كتب كرسالة شخصية إلى عزيزه ثاوفيلس الذى قيل أنه كان ثريا من الإسكندرية أو موظفًا رومانيا كبيرا .

– وأن لوقا كتب رسالته إلى ثاوفيلس بدافع من نفسه ومحاكاة للآخرين : (رأيت أنا أيضا) ، وأنه عمل فى رسالته بجهده الخاص : (تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق) .

– ولم يدر بخلد لوقا أن ما كتبه آنذاك سيكون سفرا مقدسا يستخرج منه

ملايين البشر عقائدهم الدينية ، لأن ما كتبه كان رسالة شخصية لصديقه : (لتعرف صحة الكلام) .

– وأنه لم ير المسيح ، وإنما جاءته معلومات عنه من (الذين كانوا معاينين وخداما له) .

وخلاصة القول أن ما سطره لوقا من رسائل وجمعت معا لا تعدو أن تكون كتابا مؤلفا بكل معنى الكلمة . فهى مجهود بشرى أولا وأخيرا ولا علاقة لها بالوحى . إن هذا ما يقوله لوقا فى بعض رسائله هذه ، والتى صدرت بها السلطات الكنسية الجزء الثانى من رسائله ، وجمعته تحت اسم : سفر أعمال الرسل .

إن لوقا يقول ، حسب ترجمة الكاثوليك : « ألفت كتابى الأول يا ثاوفيلس فى جميع ما عمل يسوع وعلم ، منذ بدور رسالته إلى اليوم الذى رفع فيه إلى السماء ... » .

وتقول ترجمة البروتستانت : « الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ... » .

لقد كان لوقا صادقا مع نفسه حين قرر أن ما سطره كان من تأليفه . من يجرؤ – بعد ذلك – على الإدعاء بأنه كتب بإلهام من الروح القدس ؟! .

أو من يجرؤ بعد ذلك على ضم كتابات لوقا وغيره إلى قائمة الكتب التى قيل أن بولس قال عنها : كل الكتاب موحى به من الله ، وقد بينا خطر تلك المقولة ؟! .

وها هو كاتب إنجيل متى يقرر أن ما يكتبه هو : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم .. – ١ : ١ » .

وليس فى هذا الكلام أو فى غيره ما ينص على أنه وحى من الله وما يقال عن إنجيل متى يقال عن إنجيل مرقس بالنسبة لموضوع الوحى ، إلا أن كاتب إنجيل مرقس – الذى لم ير المسيح مثل لوقا – قرر أن يسمى كتابه إنجيلا ، فقال : « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله – ١ : ١ » .

وجدير بالذكر أن « بعض المراجع القديمة الموثوق فيها تحذف :

ابن الله [١] » أى أن السطر الأول من إنجيل مرقس يقرأ هكذا : « بدء إنجيل يسوع المسيح » .

وهكذا تحدث عمليات الإضافة والحذف عبر السنين .

وبالنسبة لإنجيل يوحنا ، فقد كتب لغرض حدده الكاتب سلفا **وهو** الاعتقاد بأن المسيح هو ابن الله ، إذ يقول : « وآيات أخر كثيرة صنعها يسوع قدام تلاميذه ، لم تكتب فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت **لتؤمنوا بأن المسيح هو ابن الله** – ٢٠ : ٣٠ – ٣١ » .

ولا علاقة بهذا الكلام بموضوع الوحى ، وقل مثل ذلك على رسائل التلاميذ [٢] .

* *

---

(1) D . Nineham : Saint Mark , P . 56 .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول بولس ومسيحيته ، راجع كتاب المؤلف : حقيقة التبشير .

الملحق رقم (٩)

المرأة فى الأديان

١ - المرأة فى اليهودية

المرأة هى المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :

إن هذا ما تقوله قصة خلق آدم وزوجه وحياتهما الأولى فى الجنة ، والتى انتهت بالطرد منها بسبب معصية الأمر الإلٰهى بعدم الأكل من الشجرة المحرمة . فالقصة تقول إن الحية أغرت المرأة بالأكل من تلك الشجرة « فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل ، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان » .

من هنا كانت المرأة هى التى بدأت بالمعصية ، ومن ثم كانت هى المسئولة عن تلك الخطيئة الأولى . ولقد حاول آدم أن يبرىء نفسه من مسئولية مخالفة أمر الله ، وألقى باللائمة على امرأته فقال لربه : « المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت .

فقال الرب الإلٰه للمرأة : ما هذا الذى فعلت ؟! فقالت المرأة : الحية غرتنى فأكلت » .

ولقد ترتب على ذلك إنزال العقاب الإلٰهى بهؤلاء المذنبين الثلاثة وهم آدم وامرأته والحية على النحو التالى :

« قال الرب الإلٰه للحية : لأنك فعلت هذا ؟ ملعونة أنت من جميع البهائم .. على بطنك تسعين ، **وترابا تأكلين كل أيام حياتك** [١] !

---

(١) هل تأكل الحية ترابا؟! إن الحية تأكل الفئران والبيض ونحوه .

وقال للمرأة : تكثيرا أكثر اتعاب حبلك **بالوضع تلدين أولادا** (١)
وإلى رجلك يكون اشتياقك ، **وهو يسود عليك !** .

وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك .. ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك .

وقال الرب الإله : هو ذا الإنسان قد صار كواحد منها ، عارفا الخير والشر . **والآن لعله يمد مده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد** فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها – تكوين ٣ : ٦ – ٢٣ » .

ويقول علماء الكتاب المقدس ، فى تعليقهم على بعض ما جاء فى هذه القصة : « **المرأة لا تكون شريكة للرجل ، ولا تساويه ، بل تمسى فتنة الرجل . وهو يستعبدها لتلد له الأولاد** » (٢) .

المرأة . إذن – حسب هذه الرواية ، هى سبب بلاء الجنس البشرى ، وعقوبتها أن يستعبدها الرجل .

* *

ولقد مرت آلاف السنين بعد خلق آدم وزوجه وطردهما من الجنة وتكاثر البشر على الأرض وكونوا مجتمعات ودولا . ثم جاء موسى – فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد – بالتوراة وفيها تشريعات تقول لبنى إسرائيل :

– **المرأة تباع وتشترى :**

« **إذا باع رجل ابنته أمة** ، لا تخرج كما يخرج العبيد – خروج٢١ : ٧ » .

---

(١) إن إناث الحيوانات كالخيل والحمير والأنعام والسباع تلد جميعا بالأوجاع . فهل كان سبب ذلك معصية ارتكبتها جداتها عند بدء الخليقة ؟! .

(٢) أسفار الشريعة الخمسة .

« قال بوعز للشيوخ : **راعوث المرآبية ٠٠ قد اشتريتها لى امرأة – راعوث ٤ : ٩ – ١٠** » وراعوث هذه جدة داود ٠

– نجاسة ولادة الأنثى ضعف نجاسة ولادة الذكر :

« إذا حبلت امرأة وولدت ذكرا ، **تكون نجسة سبعة أيام ٠٠ ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها ٠**

وإن ولدت أنثى ، تكون نجسة أسبوعين ٠٠ ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها – لاويين ١٢ : ١ – ٥ » ٠

– الميراث للذكور فقط :

« إذا كان لرجل امرأتان : أحدهما محبوبة والأخرى مكروهة ، **فولدتا له بنين** ، المحبوبة والمكروهة ٠٠ فيوم يقسم **لبنيه** ما كان له ، لا يحق له أن يقدم **ابن** المحبوبة بكرا على **ابن** المكروهة البكر ٠ بل يعرف **ابن المكروهة** بكرا ليعطيه نصيب اثنين ٠٠ له حق البكورية – تثنية ٢١ : ١٥ – ١٧ » ٠

يحتوى هذا التشريع – الذى فاز فيه الأبناء بالميراث دون البنات بل دون بقية الإناث من زوجات وأمهات – على السماح بتعدد الزوجات ٠

– ولا ترث الإناث إلا عند فقد الذكور :

وحين كان موسى يقسم الأرض بين بنى إسرائيل كان التخصيص للذكور فقط ، فاحتجت بنات صلفحاد لأن أباهن كان قد توفى « ولم يكن له بنون ٠ (وقلن) لماذا يسقط اسم أبينا من عشيرته لأنه ليس له ابن ، **فاعطنا ملكا فيما** بين أعمامنا ٠٠ فكلم الرب موسى قائلا : **تعطيهن ملك نصيب بين أخوة** أبيهن ، وتنقل نصيب أبيهن اليهن ٠

وتكلم بنى إسرائيل قائلا : **أيما رجل مات وليس له بنون ، تنقلون ملكه إلى ابنته ٠ وإن لم يكن له ابنة ، تعطون ملكه لإخوته ٠ وإن لم يكن له إخوة تعطون ملكه لاخوة أبيه ٠وإن لم يكن لأبيه أخوة ، تعطوا ملكه لنسيبه الأقرب إليه من عشيرته فيرثه** – عدد ٢٧ : ١ – ١١ » ٠

وهكذا ، عندما لا توجد ابنة للميت يتحول ميراث الأرض إلى الذكور فقط حتى إذا لم يكن هذا الذكر سوى نسيبه ، ولقد كان هذا مصدر إلهام لما صدر من تشريعات للميراث فيما بعد . فها هي مجموعة **الأحكام العبرية** تقول :

– المادة ٣١٣ : « **إذا لم يكن للميت ولد ذكر ، فميراثه لابن أخيه .** وإن لم يكن له ابن ابن ، فالميراث للبنت . وإن لم يكن له بنت ، فالميراث لأولاد البنت . وإذا لم يكن له حفدة فلأولاد أولادهم الذكور . وإذا لم يكن له أولاد حفدة من الذكور ، فالميراث لبنات الحفدة » .

– المادة ٤٢٦ : « إذا ماتت الزوجة **ولم تعقب ذرية من الأولاد** ، فزوجها وارثها الشرعى » .

– المادة ٤٣٣ : « **ليس للمرأة أن تطلب الطلاق مهما كانت عيوب زوجها ، حتى لو ثبت عليه الزنا** » .

– المادة ٤٣٤ : « **متى نوى الزوج الطلاق حرمت عليه معاشرة زوجته** فبمجرد عزمه على مفارقتها وجب عليه الإسراع إلى طلاقها » .

* *

٢ – المرأة فى المسيحية

يقول ميخائيل هارت فى كتابه : **المائة أعظم الناس أثرا فى التاريخ** ؛ عند الكلام عن المسيح : « **إن المسيحية لم يؤسسها شخص واحد ، وإنما أقامها اثنان : المسيح والقديس بولس** . ولذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشائها هذا الرجلان .

فالمسيح قد أرسى المبادىء الأخلاقية للمسيحية وكذلك نظرتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الإنسانى . أما مبادىء اللاهوت فهى من صنع القديس بولس . فالمسيح هو صاحب الرسالة الروحية **ولكن القديس بولس أضاف إليها عبادة المسيح** كما أن القديس بولس هو الذى ألـف جانبا كبيرا من **العهد الجديد** ، وكان المبشر الأول للمسيحية فى القرن الأول للميلاد .

ولهذه **الأسباب** ، **فإن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس هذه الديانة المسيحية هو القديس بولس وليس السيد المسيح** .

وليس من المنطق فى شىء ، أن يكون السيد المسيح نفسه مسئولاً عن الذى أضافته الكنيسة أورجالها إلى الديانة المسيحية . فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه » .

ولقد رأينا بعضا من ذلك عند الكلام عن بولس (الملحق رقم ٨) نحن – إذن – أمام عقائد ووجهات نظر مختلفة ، فلنبحث وضع المرأة فى ظل كل منها .

*

أ – المرأة فى مسيحية المسيح

جاءت أغلب تعاليم المسيح حول المرأة فى **موعظة الجبل** ، إذ يقول : « قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تزن . وأما أنا فأقول لكم : **إن كل من ينظر إلى**

امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ، فإن كانت عينك اليمنى تعثرك ، فاقلعها وألقها عنك . لأنه خير لك إن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .

وقيل : من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم : **إن من طلق امرأته ، إلا لعلة الزنا ، يجعلها تزنى – ومن تزوج مطلقة فإنه يزنى –** متى ٥ : ٢٧ – ٣٢ » .

لقد أثبت الواقع استحالة الاستغناء عن الطلاق ، بدليل أن الدول المسيحية سنت قوانين تبيح الطلاق ، **فهل من مصلحة المرأة المطلقة ألا تتزوج مطلقا؟!** .

ولقد علم المسيح تلاميذه وتابعيه أن يطبقوا شريعة موسى فى كل شىء ، فهو لم يأت لينقضها ، ولم يأت بتشريع جديد يعالج به مختلف نواحى الحياة . فلقد كان آخر تعليمه لهم : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه** . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون – متى ٢٣ : ٢ – ٣ » .

وبينما كان يتحدث إمام جمع كبير من الإسرائيليين ، « قال له واحد من الجمع : **يا معلم ، قل لأخى أن يقاسمنى الميراث . فقال له : يا إنسان ، من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما** – لوقا ١٢ : ١٣ – ١٤ » .

ليس في المسيحية – إذن – تشريع خاص للميراث ، وما جاء فى شريعة موسى خاصا بذلك ينطبق على المسيحيين ، **وخلاصته : ألا ترث الأنثى إلا عند فقد الذكور** .

ولقد كان المسيح رحيما بالمرضى ، فشفى كثيرا من أصحاب الأمراض والعاهات ، يستوى فى ذلك الرجال والنساء . فشفى حماة بطرس (متى ٨ : ١٤ – ١٥) ، والمرأة التى كانت تنزف سنوات طـويلة . وقد قال لها : « ثقى يا ابنة . إيمانك قد شفاك (متى ٨ : ٢٠ – ٢١) » .

على أن كتبة الأناجيل قد عرضوا لنا مواقف غريبة للمسيح مع أمه « فقد كان عرس فى قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك . . ولما فرغت الخمر قالت أم

يسوع له : ليس لهم خمر . **فقال لها يسوع : مالى ولك يا امرأة !** — يوحنا ٢ : ١ — ٤ » .

« وفيما هو يكلم الجموع : **إذ أمه وأخوته** قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه . فقال له واحد : هو ذا **أمك وأخوتك** واقفون خارجا طالبين أن يكلموك . **فأجاب وقال للقائل : من هى أمى ، ومن هم أخوتى ؟ ! ثم مد يده نحو تلاميذه وقال : ها أمى واخوتى** . متى ١٢ : ٤٦ — ٤٩ » .

أما حسب رواية لوقا ، فإنه « أجاب وقال لهم : أمى وأخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها — ٨ : ١٢ » .

ولقد كانت مثل هذه المواقف موضع تعليق لكثيرين ، مثل : **ول ديورانت الذى يقول عن المسيح أنه « ينصحنا بنبل وشرف الا نحكم (ندين) حتى لا يحكم علينا (نداان) ، ولكنه يلعن الناس والمدن التى لم تؤمن برسالته ، ويلعن شجرة التين التى لم تكن تحمل ثمرا . ولعله كان قاسيا بعض القسوة على أمه** . وكان يتصف بحماسة النبى العبرانى المتزمت أكثر من اتصافه بالهدوء الشامل الذى يمتاز به الحكيم اليونانى » (١) .

لقد جاء المسيح رسولا إلى بنى إسرائيل ، وكان حريصا على إعلان ذلك فى كل مناسبة . فحين أرسل تلاميذه للتبشير ، حصر مهمتهم فى الشعب الإسرائيلى فقط ، لدرجة أنه أخرج السامريين الذين يؤمنون بموسى والتوراة من نطاق رسالته . وفى هذا يقول الإنجيل : « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا **وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة** . وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه **قد اقترب ملكوت السموات** — متى ١٠ : ٥ — ٧ » .

ولقد كان من حرص المسيح على بيان أن رسالته لا تختص إلا ببنى إسرائيل ، أنه لم يسارع إلى تقديم يدا العون والرحمة لامرأة ملهوفة استغاثت به

---

(١) قصة الحضارة : ول ديورانت — ج ١١ — ص ٢١٨ .

أن يرحمها ويشفى ابنتها المريضة ، لا لشىء إلا لأن المرأة لم تكن من بنات إسرائيل . فقد « خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيداء . وإذا **امرأة كنعانية** خارجة من تلك التخوم ، صرخت إليه قائلة : **ارحمنى يا سيد يا ابن داود . ابنتى مجنونة جدا . فلم يجبها بكلمة !** .

فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : **اصرفها لأنها تصيح وراءنا** .

فأجاب وقال : لم **أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة** .

فأتت وسجدت له قائلة : **يا سيد** ، **أعنى** .

فأجاب وقال : **ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين** (الإسرائيليين) **ويطرح للكلاب** (كل من ليسوا من بنى إسرائيل) ! .

فقالت : نعم يا سيد . والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها .

حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة عظيم إيمانك . ليكن لك كما تريدين . فشفيت ابنتها من تلك الساعة – متى ١٥ : ٢١ – ٢٨ » .

وإذا كان غير الإسرائيليين كلابا . فماذا بقى ؟! .

* *

ب – المرأة فى مسيحية بولس

المرأة مسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :

اعتنق بولس فكرة مسئولية المرأة عن الخطيئة الأولى ، فألهب الفكرة وبرأ آدم صراحة من المعصية وتعدى حدود الله ، فقال : « **لست آذن للمرأة أن تعلّم** ، **ولا تتسلط على الرجل** ، بل تكون فى سكوت .

لأن آدم جبل أولا ، ثم حواء . وآدم لم يغو ، لكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدى – (١) تيموثاوس ٢ : ١٢ – ١٤ » .

المرأة دون الرجل :

« أريد أن تعلموا إن رأس كل رجل هو المسيح . **وأما رأس المرأة فهو**

الرجل • ورأس المسيح هو الله •• كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطي فتشين رأسها ، لأنها والمخلوقة شيء واحد بعينه • **إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها •• الرجل لم يخـلق من أجل المرأة ، بل المرأة من أجل الرجل** – (١) كورنثوس ١١ : ٣ – ٩ » •

« **لتصمت نساؤكم فى الكنائس ، لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن** كما يقول الناموس أيضاً •

ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئًا ، **فليسألن رجالهن فى البيت ، لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة** – (١) كورنثوس ١٤ : ٣٤ – ٣٥ » •

« أيها النساء : اخضعن لرجالكـم ، كما للرب • **لأن الرجل هو رأس المرأة** ، كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة •

كما تخضع الكنيسة للمسيح • كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء – أفسس ٥ : ٢٣ – ٢٤ » •

بولس والأسرة :

لقد دعا بولس إلى عدم الزواج إن أمكن فقال :

« **حسن للرجل أن لا يمس امرأة** • ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها •

أريد أن يكون جميع الناس كما أنا (بلا زواج) – (١) كورنثوس ٧ : ١ – ٧ » •

إن تعاليما كهذه لكفيلة بهدم نظام الأسرة فى العالم كله وإلحاق الأذى بالمرأة التى هى نواة الأسرة ، والنتيجة الحتمية لذلك هى خراب العالم ، خلافا لما أمر الله به • فلقد كانت تعاليم الله لأول أسرة على وجه الأرض – آدم وحواء – تقول لهم : « **اثمروا ، وأكثروا ، وأملأوا الأرض** – تكوين ١ : ٢٨ » •

وكانت هـى ذاتـها التعالـيم لنوح وبنيه بعد الطوفان ، إذ قال لهـم : « **اثمروا ، وأكثروا ، واملأوا الأرض** – تكوين ٩ : ١ » •

وبالنسبة للأرامل قال بولس : « لا تكتب امرأة فى سجل الأرامل **إلا التى بلغت ستين سنة** ولم تتزوج غير مرة واحدة .. **أما الأرامل الشابات فلا تقبلهن** ، فإنهن إذ أغناهن الترف عن المسيح ، رغبن فى الزواج ، واستوجبن القضاء ، لأنهن نقضن عهدهن الأول – (١) تيموثاوس ٥ : ٩ – ١٢ » .

وتقول **ترجمة العهد الجديد للكاثوليك** ، تعليقا على رأى بولس فى الأرامل : « **دعا بولس الأرامل فى (١) كورنثوس ٧ : ٨ – ٤٠ إلى الامتناع عن الزواج . ولكن الخبرة علمته بأنه الأفضل للأرامل الشابات أن يتزوجن** » وهكذا سارت الأمور فى التحليل والتحريم عبر القرون .

* *

جـ – المرأة فى ظل الكنيسة

لقد حرص آباء الكنيسة على التوكيد على أن المرأة مصدر الخطيئة والشر فى هذا العالم ، ومن ثم يجب قهرها إلى أقصى حد واستهلاكها نفسيا تحت وطأة الشعور بالخزى والعار من طبيعتها وكيانها البشرى . ولقد اغتنموا كل فرصة تتعلق بالمرأة لبث روح الإحباط فيها ، حتى ولو كانت تتعلق بزى ترتديه . فلقد كتب **ترتليان** – فى القرن الثالث – رسالة تعالج زى المرأة صدَّرها إلى « أفضل المحبوبات إخواته فى الإيمان » ثم ما لبث أن انزلق فيها من المحبة والاحترام إلى هجوم يذهل ، إذ يقول « إذا وجد إيمان على الأرض عظيم مثل ما نتوقع أن ننعم به فى السماء ، فما كان لأى واحدة منكن أفضل إخواتى المحبوبات اللاتى منذ أن عرفت الواحدة منكن الرب وعلمت حقيقة منزلتها – أن تشتهى زيها كثير البهجة . **لقد كان حريابها أن تخرج فى زى حقير ، وتسير مثل حواء ، ترثى لحالها ، نادمة على ما كان ، حتى يكون زيها الذى يتسم بالحزن مكفرا عما ورثته حواء : العار ، واقصد بذلك الخطيئة الأولى ، ثم الخزى من الهلاك الأبدى للإنسانية .. ألستن تعلمن أن كل واحدة منكن هى حواء ؟!** .

إن قضاء الله على جنسكن بالعقوبة موجود فى هذا العصر (الولادة بألم) وبالتالى فإن الشعور بالإثم يجب أن يكون موجودا أيضا .

أنتن المدخل الذى يلجأ إليه الشيطان : فانتن باكورة من ذاق الشجرة المحرَّمة ، وانتن أول من تمرد على القانون الإلٰهى ، وانــتن تلك المرأة التى أقنعته (بالأكل من الشجرة) ، إذ لم يكن لدى الشـــيطان القدر الكافى من الجسارة لكى يهاجم (آدم) **لقد دمـــرتن بمثل هذه السهولة الرجل الذى هو صورة الله . وبسبب استحقاقكن للعقوبة – التى هى الموت – كان على ابن الله أن يموت أيضًا** » [١] .

ثم كان تساؤل : لماذا خلق الله النساء ؟!

تقول كارن ارمسترونج : « إن أوغسطين تبدو عليه الحيرة عندما يتساءل عما إذا كان هناك سبب ، على الإطلاق ، من أجله خلق الله النساء !

فليس فى إمكان المرأة أن تكون صـديقا ورفيقا معينا للرجل ، ومع ذلك ، إذ كان ما احتاجه آدم هو العشرة الطيبة ، فلقد كان من الأفضل كثيرا أن يتم تدبير ذلك برجلين يعيشان معا كصديقين ، بدلا من رجل وامرأة . فلقدكانت العلة الوحيدة التى من أجلها خلق الله النساء هى إنجاب الأولاد .

ولقد كان **لوثر** يشارك فى هذا الرأى ، فلم يهتم بتأثير كثرة الولادة على النساء ، إذ كتب يقول : **إذا تعبت النساء ، أو حتى ماتت ، فكل ذلك لا يهم . دعهن يمتن فى عملية الولادة ، فقد خلقن من أجل ذلك** » [٢] .

*

ثم كان تساؤل أحمق : هل المرأة إنسان ؟!

« لقد شاركت البروتستانتية تماما فى كره النساء الذى ورَّثه الآباء إلى الكنيسة الكاثوليكية . فعندما **ناقش اللوثريون ، فى وتنبرج ،مسألة ما إذا كانت النساء حقيقة من بنى الإنسان ، لم يكونوا يناقشون شيئًا** جديدا .

---

(1) Karen Armstrong :THE GOSPEL ACCORDING TO WOMAN , PP . 54 - 5 .

(٢) المرجع السابق ص ٦١ – ٦٢ .

فلقد كان اللاهوتيون متحيرين دائما حول مكانة النساء فى خطة الله (لخلاص البشر) ٠

ولقد كان **توما الاكوينى** متحيرا تماما ، مثله مثلما كان **أوغسطين** من قبل ، فيما إذا كان هناك داع على الاطلاع ، إن يخلقها (الله) ، فكتب يقول : **فيما يختص بطبيعة الفرد ، فإن المرأة مخلوق معيب وجدير بالازدراء ٠ ذلك إن القوة الفعالة فى منى الذكر تنزح إلى إنتاج مماثلة كاملة فى الجنس الذكرى ، بينما تتولد المرأة عن عيب فى تلك القوة الفعالة ، أو حدوث توعك جسدى ، أو حتى نتيجة لمؤثر خارجى ٠**

إن القول بأن طبيعة الفرد فى النساء معيبة ، إنما هى فكرة التقطها من آراء **أرسطو** فى علم الأحياء ٠ **فالذكر هو الأنموذج أو المعيار ، وكل امرأة إنما هى رجل معيب ٠**

وفى مجمع ماسون ، فى القرن السادس ، كان على الأساقفة أن يصوتوا على مسألة : ما إذا كان للنساء أرواح أم لا ؟ ! ولقد فاز اقتراح الموافقة باغلبية صوت واحد ! » (١) ٠

*

هل الزواج عقوبة للمرأة ؟! :

« إن **لوثر** الذى يجعل النساء منبوذات قسرا فى وحشة ومنفيات من عالم الرجال ، يرى فى الزواج عقابا للمرأة ٠ لقد كتب يقول : **إن هذا العقاب ينبع أيضاً من الخطيئة الأصلية ، وتتحمله المرأة مكرهة تماما كما تتحمل تلك الآلام والمتاعب التى وضعت على جسدها ٠ إن السلطة تبقى فى يد الرجل ، تجبر المرأة على طاعته حسب وصية الله ، فالرجل هو الذى يحكم البيت والدولة ٠ ويشن الحرب ، ويفلح الأرض ، ويبنى ويزرع ٠٠ أما المرأة ، فعلى العكس من ذلك ، فهى مثل مسمار يدق فى حائط ٠ يجب أن تبقى فى المنزل**

(١) المرجع السابق ص ٦٢ – ٦٤ ٠

وترعى الحاجات المنزلية ، مثل إنسان حرم القدرة على إدارة تلك الشئون التى تختص بالدولة . . . بهذه الطريقة تعاقب حواء » .

لم يتغير شيء ! قد يكون لوثر تصارع عقائديا مع روما ، ولكننا رأينا ، من وقت لآخر ، كيف أن الكراهية المسيحية للمرأة لم تتأثر بالاختلاف الفكرى والعقائدى . **فلا تزال المرأة هى حواء** .

إن الصورة غير العادية للمرأة ، كمسمار يدق فى حائط ، تكشف عن حقيقة مكانتها : فهى بائسة لا عون لها ، تساق ، ويدق على رأسها ، **لا يسعى وراءها من أجل إقامة مودة زوجية فيها دفء وراحة عائلية** »[1] .

*

خلاص المرأة المسيحية يجعلها رجلا ! :

« على الرغم من أن الكنيسة فى الغرب قد لا تسمح لعذاراها بالقيام بأعمال الرجال ، فقد كان اللاهوتيون واضحين فى أن **العذراء البتول قد أصبحت رجلا شرفيا** . لقد كتب **جيروم** يقول :

بما أن المرأة خلقت للولادة والأطفال ، فهى مختلفة عن الرجل كما يختلف الجسد عن الروح . **ولكن عندما ترغب المرأة فى خدمة المسيح أكثر من العالم ، فعندئذ سوف تكف عن أن تكون امرأة ، وستسمى رجلا** . (تعليق جيروم على رسالة بولس إلى أهل أفسس) .

وإن **امبروز** واضح تماما فى انه **لكى تحصل المرأة على الخلاص بالنجاة من الخطيئة الأصلية ، فيجب أن تصبح ذكرا** . لقد كتب يقول : **تلك التى لا تؤمن إنما هى امرأة ، ويجب أن تصنف باسم جنسها (الأنثوى) بينما تلك التى تؤمن إنما تتقدم نحو الرجولة الكاملة** . وآنذاك تتخلى عن اسم جنسها وغوايات الشباب وثرثرة العجائز .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٤ – ٢٧٥ .

فبالنسبة **لامبروز** ، يعنى خلاص المرأة أن تطرح عنها أنوثتها ، وتصير إنسانا كاملا بالغا سن الرشد ، أى تصير ذكراً » (١) .

*

مذابح مروعة للنساء ! :

دأب الفكر الكنسى الغربى على إثارة جو متأجج بكراهية المرأة والخوف منها ، استمد جذوره الأولى مما تحكيه الصفحات الأولى من الكتاب المقدس عن الخطيئة الأولى التى تضع مسئوليتها فى عنق حواء .

ثم جاءت فكرة الخطيئة الأولى المتوارثة التى غرسها بولس فى المسيحية – خلافا لتعاليم المسيح – وتعهَّدها آباء الكنيسة ، حتى كان أوغسطين هو الذى صاغ معتقد الخطيئة الأصلية فى صورته النهائية .

تقول كارن **ارمسترونج** : « إن أعمال القمع فى الحضارة الغربية لا ترى ظاهرة بوضوح إلا فى حالات الرعب الفجائى المتعاظم الذى يصاحب تلك الأعمال ، ويتفجر من وقت لآخر بعنف مذهل ثم يخمد فجأة .. وكثيرا ما نسمى هذه الأعمال الجنونية : **تعقب المتشيطنات وقمعهن** ، بسبب الجنون الشهير الذى تفجر فى أوربا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، خاصا بتعقب نساء السحر الأسود والتنكيل بهن .. لقد دمرت تلك الحملات ، إلى أبعد حد ، العلاقة بين الجنسين فى مجتمعنا (الغربى) **ففى نهاية القرن الخامس عشر ، كان واضحا تماما أن الكنيسة قد طبعت أوربا برعب من الأمور الجنسية وكراهية للنساء وتفجرت كلها فى الحملات المتفرقة لتعقب المتشيطنات وقمعهن .**

وطوال هذه الحملات كان يعتقد أن هناك شيطانًا يمارس الجنس مع هؤلاء النسوة ، وكانت تعرف تلك الروح الشريرة باسم الحضون .

كما كان يعتقد أن تلك النساء المتشيطنات يمكنهن الطيران فى الهواء ليلا

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٩ .

لحضور الاحتفال بيوم الراحة الأسبوعى ، حيث يعبدن الشيطان ، وينغمسن فى شعائر وحشية ، ويمارسن طقوساً جنسية عربيدية . وكان يعتقد كذلك ، أن هؤلاء النساء يمتلكن قوى سحرية ، إذ كن فى تحالف مع الشيطان من أجل تدمير الجنس البشرى . كما كانت لهن القدرة على إثارة العواصف وإتلاف المحاصيل وإحداث العجز الجنسى للآخرين وإصابتهم بالعقم والموت .

لقد كان تعقب المتشيطنات بدعة مسيحية . واعتقد كثير من الناس بشدة فى وجود هؤلاء النساء المتشيطنات ، وإن الواجب يفرض عليهن قتل الآلاف منهن . **ومن الصعب الآن معرفة عدد النساء اللاتى قتلن خلال الجنون الذى استمر مائتى عام .. (وكمثال) نادراً ما تركت أية امرأة على قيد الحياة فى بعض القرى السويسرية** »[1] .

*

إنها خرافة وثنية ! :

« إن الاعتقاد الوثنى القديم بأعمال التشيطن هذه ، تسلم معموديته المسيحية **فى عام ١٤٨٤ عندما أصدر البابا انوسنت الثامن** مرسوما بابويا مذهلا ، حيث يظهر منه أن قلقا جنسيا انتشر فى ألمانيا بصورة وبائية . فقد صار الرجال عاجزين عن ممارسة الجنس ، كما عجزت زوجاتهم عن الحمل . وقد أرجع ذلك إلى النساء المتشيطنات اللاتى أثَّرن – بقوة السحر – فى الجيران .

عندئذ كلف البابا اثنين من الآباء الدومينيكان هما : **يعقوب شبرنجر** ، **وهينرش كريمر** ، بتولى هذا الموضوع . ولقد كانت نتيجة عملهما المشترك هو إصدار **دليل عمل** بعنوان : **مطرقة المتشيطنات** . لقد كان كتيبا الغرض منه مساعدة **المحققين فى** تحرى أعمال المتشيطنات ، ثم أصبح المصدر الرئيسى **لديوان التفتيش** ، حيث تكررت منه تسع عشرة طبعة » .

ويحاول **شبرنجر فى** هذا الكتيب أن يبرهن على أن النساء قابلات لإغواء

---

(١) المرجع السابق ص ٨٨ – ٩١ .

الشيطان أكثر من الرجال ، لأنهن أصلا مخلوقات فاسدات ، ثم هو يطور نظرية **اكويناس** التى تقول بأن النساء هن أساسا مخلوقات بشرية مشوهة . لقد كتب **شبرنجر** يقول :

يجب ملاحظة أن هناك عيبا فى تكوين المرأة الأولى ، وحيث إنها من خلال هذا العيب تكون حيوانا مشوها فإنها دائما تخادع ، وهذا ما تبينه دراسة أصل كلمة : « **أنثى** » **وتاريخها** (فى اللغات الأوربية) .

ذلك أن كلمة Femina تتكون من شقين هما : Fe - Minus ، فالكلمة تتضمن معنى النقص ، نظرا لأنها ضعيفة أبدا لا تستطيع التمسك بالإيمان والمحافظة عليه . (مطرقة المتشيطنات ص ٤٤) .

كذلك كتب شبرنجر يقول :

« إن كل **أعمال شيطنة المرأة إنما تنبع من تحرقها الشهوانى الذى لا يشبع . فهناك** (حسب الكتاب المقدس) **ثلاثة لا تشبع ، وأربعة لا تقول كفى : ذلك هو فم الرحم** (سفر الأمثال : ٣٠) .

وبناء على ذلك فإن النساء مستعدات لمعاشرة أى شخص حتى ولو كان الشيطان (مطرقة المتشيطنات ص ٤) .

وتستمر **مطرقة المتشيطنات** فى إلقاء مسئولية الشهوة الجنسية على النساء ! إن **شبرنجر** يشكر الله بحرارة على أن الرجال متحررون من أعمال الشيطنة : **فحيث إن الرب كان راضيا أن يحمل به فى البطن ويقاسى من أجلنا ، فقد أنعم على الرجال بهذا الامتياز** .

إن الانطباع المذهل من هذا القول هو أن الله **لم يخلص النساء أو لم يمت من أجلهن ، ولهذا أسلمهن إلى الجنس ، ومن ثم إلى الشيطان** » [١] .

*

(١) المرجع السابق ص ٩٣ – ٩٥ .

أثر الإسلام فى احترام الأم والزوجة :

تقول كارن **ارمسترونج** : « إن الأم الإيطالية ، التى لها عميق الاحترام والنفوذ فى أسرتها ، **إنما تشبه فى ذلك النساء غير المسيحيات فى عالم البحر الأبيض المتوسط مثل الأمهات العربيات المسلمات** ، أكثر إلى حد كبير من شبهها لإخواتها المسيحيات فى إنجلترا أو ألمانيا ، حيث لا تتمتع تلك الأمهات بنفس المكانة ، وفى أسبانيا التى تأثرت بقوة بالفتح الإسلامى فقد تأثرت بالمفاهيم الإسلامية الخاصة بالجنس والموقف من النساء ٠

وعندما يعزل المسلم نساءه عن العالم ، فإنما ذلك دليل على شدة احترامه لهن بما يجعله يربأ بهن عن مخالطة عالم الأسواق الخطر الدنىء ٠

وهناك شواهد على أن النساء الغربيات اللاتى استقر بهن المقام فى مملكة أورشليم ، إبان الحروب الصليبية فى القرون الوسطى ، **قد اكتسبن احتراماً من المؤكد أن إخواتهن فى أوربا لم يتمتعن به فى القرن الثانى عشر الذى اشتهر بكراهية النساء ، وأنهن قد اكتسبن هذا الاحترام من اتصالهن بالإسلام ٠ وقد بدأ الكثير من نساء الصليبيين فى ارتداء الحجاب ، بعد أن رأين المكانة والاحترام اللذان يوفرهما للنساء المسلمات** » (١) ٠

أما بعد ، فهذا قليل من كثير مما يمكن أن يقال فى هذا الموضوع الخطير ٠

وكما قال المسيح دائماً : من له أذنان للسمع فليسمع ٠

* *

---

(١) المرجع السابق ص ٤٢ ، ٦٣ ٠

٣ – المرأة فى الإسلام

آدم هو المسئول عن الخطيئة البشرية الأولى :

رأينا كيف جعل الكتاب المقدس المرأة هى المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى ، وصار ذلك معتقداً ثابتاً فى اليهودية والمسيحية . أما فى الإسلام فإن الموقف يختلف تماما ، **ذلك أن القرآن يقرر – بصريح العبارة – مسئولية آدم عن تلك الخطيئة** ، وإن شاركته امرأته المعصية بالأكل من الشجرة المحرمة . فالله يقول فى القرآن :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ من قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ، أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجنَّة فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ ألاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْه الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ : هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى * فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الجنَّة ، **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى** ﴾ [سورة طه : ١١٥ – ١٢٢] .

لقد استغفر آدم وامرأته ربهما بعد هذه الخطيئة ، إذ :

﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٣] .

وما كان الله ليضيعهما ، وله – سبحانه – من الأسماء الحسنى ما إذا دعى به ، فإنه يفعل فعله مثل : الغفور الرحيم :

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام : ٥٤] .

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة : ٣٧] ٠

ليس فى الإسلام – إذن – خطيئة أصلية تتحمل إثمها المرأة ، وليس فيه قول بخطيئة يتناقلها الأبناء عن الآباء ٠ فما جاءت مثل تلك المزاعم إلا فى مسيحية بولس ، والمسيح منها براء ٠

إن المسئولية فى الإسلام فردية ٠ وهو ما يتفق وعدل الله :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [سورة المدثر : ٣٨] ٠

﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾

[سورة النجم : ٣٨ – ٤٢] ٠

« النساء شقائق الرجال » :

ليس هذا كلام كاتب هذه السطور ، إنما هو حديث سيدنا رسول الله ﷺ وتعاليمه للمسلمين ٠ وهـو حديـث رواه أبو داود وهو يكفى – بالإضافة إلى ما سبق بيانه عن مسئولية آدم عن الخطيئة البشرية الأولى – ليكون ملخصا لمكانة المرأة فى الإسلام ٠

*

إكرام الأم أضعاف إكرام الأب :

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الأزهر سابقًا :

« والقرآن لا يقف فى هذا المقام عند حد التسوية بين (الوالدين) فى واجب الإحسان والإجلال ، بل يخطو خطوة ثانية فيرشد إلى ما للوالدات من جهود مضنية فى تربية الأبناء ، **ليس شىء منها للوالد** ٠ وترى ذلك فى مثل قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ ﴾ [سورة لقمان : ١٤] ٠

وفى قول الرسول – عليه السلام – جوابا عن سؤال رجل : **من أحق الناس بحسن صحابتى يا رسول الله ؟** .

قال : **أمك** . قال : ثم من ؟ قال : **أمك** . قال : ثم من ؟ قال **أمك** . **قال** : ثم من ؟ قال : **أبوك** »[1] .

ولقد أمر الإسلام بالإحسان إلى الوالدين ، **حتى ولو كانا كافرين ويقتضى** الإحسان إليهما : دوام الصلة ، والخدمة والعطاء ، والكلمة الطيبة .

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبْهُمَا فى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [سورة لقمان : ١٥] .

ولقد اعتبر الإسلام السعى على الوالدين وإكرامهما **بمثابة الجهاد فى سبيل الله** . فعن عبد الله بن عمر أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ يسأله أن يجاهد . **فقال** له النبى : **أحىٌّ والداك** ؟ قال : نعم قال : **ففيهما جاهد** . (رواه البخارى) .

*

الترحيب بالأنثى منذ ولادتها :

يرحب القرآن الكريم بالأنثى منذ مولدها ، **ويعتبرها هبة من الله تماثل هبة** الذكر تمامًا . بل إنه ليجعلها فى الترتيب سابقة للذكر :

﴿ لله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْيُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وإِنَاثًا ، وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ، إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الشورى : ٤٩ – ٥٠]

وكل هبة إنما هى نعمة من الله تتطلب الحمد والشكر . ولا يكون الشكر مجرد كلمات جوفاء تتردد ، بل إنه يتمثل فى الحفاظ عليها ، ورعايتها وتنميتها وحسن استخدامها .

---

(١) الإسلام : عقيدة وشريعة . الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت . ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

ولقد سفّه القرآن أعداء الأنثى فى كل زمان ومكان ، فقال :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ، أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ، أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٥٨ ، ٥٩] .

*

المرأة أهل للمسئولية الكاملة :

« إن الإسلام يقرر أيضا فى تربية الفطرة التى خلقت عليها المرأة وهى : الإنسانية ذات العقل والإدراك والفهم ؛ أن المرأة ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل : مسئولة عن نفســـها ، وعن عبادتها ، وعن بيتها وعن جماعتها . **وهى لا تقل فى مطلق المسئولية عن مسئولية أخيها الرجل** :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ [سورة النساء : ١٢٤] .

وليس فى الإمكان ما يؤدى به **معنى المساواة** أوضح من هذه الكلمة التى تفيض بها طبيعة الرجل والمرأة ، والتى تتجلى فى حياتهما المشتركة دون تفاضل أو سلطان : ﴿ **للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ .

وللمرأة الحق فى الوصية – مثل الرجل سواء بسواء – وهذا يعنى تمتعها بكامل الأهلية :

﴿ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا ﴾ [سورة النساء : ١٢] .

وليس أدل على مساواة المرأة فى المسئولية كالرجل سواء بسواء ، من أن **للنساء حق البيعة كالرجال** . وهذا يعنى أهليتهن الكاملة للوفاء بمقتضيات العهود والمواثيق ، والتى تعتبر من أخطر الأمور فى الإسلام :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أن يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ

وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ، فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الممتحنة : ١٢] .

إن أهلية المرأة للبيعة تعنى تمتعها بالأهلية السياسية .

*

مسئولية المرأة العامة :

« **لقد صرح القرآن بمسئوليتها فى ذلك الجانب ، وقرن بينها وبين أخيها الرجل فى تلك المسئولية** ، كما قرن بينها وبينه فى مسئولية الانحراف عن واجب الإيمان والإخلاص لله وللمسلمين :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ٧١] .

إن مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، هى أكبر مسئولية فى نظر الإسلام ، **وقد سوى الإسلام فيها بصريح هذه الآيات بين الرجل والمرأة .**

وإذن فليس من الإسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اعتمادا على ظن أو وهم أنه شأن خاص بالرجال دون النساء .

وليس من الإسلام أن تلقى المرأة حظها من تلك المسئولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليه ، إذ أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب .

فليعلم ذلك نساؤنا ، وليفقهن حكم الله فيهن » (١) .

*

فى بيت الزوجية :

– أقر الإسلام حق المرأة فى عقد الزواج ، وبدون موافقتها يكن العقد باطلا . وبذلك أصبحت المرأة طرفا فى العقد بدلاً من وليها .

(١) المرجع السابق . ص ٢٢٤ – ٢٢٥ .

ولقد روى البخارى أن امرأة تدعى خنساء بنت خدام الأنصارية ، زوّجها أبوها من رجل بدون رضاها ، فأتت رسول الله ﷺ وشكت إليه أمرها ، فرد نكاحه .

وعن عبد الله بن عباس قال : جاءت فتاة بكر إلى رسول الله ﷺ فشكت له أن أباها زوّجها من رجل وهـى كارهة له ، فخيَّرها النـبى بين قبوله أو رفضه . (رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه) .

– ولم تعتبر الشريعة الإسلامية المهر ثمنا للمرأة كما كان فى الجاهلية **وفى شرائع سابقة** ، وإنما اعتبرته هبة من الرجل أو هدية ، وسمته صداقا ، دليل صدق على جدّية مشروع الزواج .

﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [سورة النساء : ٤] .

يقول الطبرى فى تفسير هذه الآية : كان الرجل فى الجاهلية إذا زوّج ابنته أخذ مهرها ، فنهاهم الله عن ذلك ونزلت الآية .

– إن المرأة سكن للرجل ، يجد فيها راحته ورضاء نفسه . والرجل سكن للمرأة ، تأمن فى كنفه وتسعد بجواره . وبين الزوجين تكون علاقات نفسية وجسدية ذات طابع خاص لا مثيـل له فى سائر العلاقات الأخرى . فهى علاقات متبادلة ، وعلاقات تكامل لا مجال للحديث فيهـا عن سـيادة أو تسـلط أو امتلاك . فهناك علاقة عاطفية تفيض مودة ورحمة ﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الروم : ٢١] .

وهناك علاقة عقلية يحكمها العدل :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٨] .

﴿ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالمعَلَّقَةِ ﴾ [سورة النساء : ١٢٩] .

– ويؤكد القرآن على ضرورة معاشرة المرأة بالمعروف : فإذا كان الزواج قد

جاء نتيجة حب ، أو جاء الحب بعد الزواج ، فإن خبرات الحياة تؤكد أن عوامل الزمن وتقلبات الأحوال لابد أن تفعل فعلها فيما بين الزوجين من علاقات قد يصل بها إلى حد الكراهية . وهنا يحضُّ القرآن الرجل على التمسك بزوجته إلى أقصى حد ، ويغريه بالصبر على ما طرأ على شعوره نحوها من بغض وكراهية ، فلعلها مع ذلك تكون خيرا له من كثيرات غيرها :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء : ١٩] .

– والمرأة راعية البيت ، كما أن الحاكم راع للمحكومين . فقد قال رسول الله ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع ومسئول عن رعيته . والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ، ومسئول عن رعيته . وكلكم راع ومسئول عن رعيته** » . (رواه البخارى) .

وإذا جئنا إلى موضوع الإنفاق ، وما يقال أحيانا عن إمساك بعض الرجال أيديهم مقابل إسراف بعض الزوجات ، نجد حديثا لعائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها ، غير مفسدة ، كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسبت ، وللخازن مثل ذلك ، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا . (رواه البخارى) .

ولم يرد نص فى الشريعة الإسلامية يلزم المرأة بالإنفاق على نفسها من مالها إن كان له مال ، أو يلزمها بالإنفاق على زوجها وأولادها إن كان الزوج معسرا أو عاجزاً عن العمل وكانت هى موسرة .

وقد أخذ رجال الفقه الإسلامى بالنصوص التى تلزم الرجل بالإنفاق على زوجته ، **وأعطوها حق الافتراق عنه إذا قصر فى الإنفاق عليها .**

ولم تبح الشريعة للرجل أن يأكل من مالها إلا إذا كان عن طيب نفس منها : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾[سورة النساء : ٤] .

– وإذا كانت الشورى مبدأ إسلاميا أساسيا للمجتمع الكبير مجتمع الشعب ، فإنها كذلك أساس المجتمع الصغير مجتمع الأسرة ، وقد جاء فى صريح القرآن فيما يتعلق بحق إبداء الرأى فى فطام الطفل ورضاعه . فلم يجعل للرجل ولا للمرأة حق الاستئثار به دون الرجوع إلى صاحبه :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ، لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ، وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ، لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ، وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ، وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٣] .

حقوق موزعة على الزوجين :

إرضاع على الزوجة ، ونفقة على الزوج ، دون إرهاق ولا مشقة ، ودون مضارة أو إيذاء . ثم تشاور فى الرأى وتراض من جهة الرضاع .

*

مشاكل تهدد الحياة الزوجية :

لا يخلو بيت من مشاكل ، وإن اختفت حينا فلابد أن تظهر فى أحيان كثيرة . فهذا واقع الحياة وهو واقع مشهود ومحسوس .

وفى سبيل الحفاظ على الحياة الزوجية واستمراريتها ، وضع القرآن تعاليمًا للزوجين تساعد على تحقيق ذلك ، **إن صدقت عزيمتهما** .

وتسير خطوات المعالجة متسلسلة كالآتى :

١ – الزوجان يبدآن الإصلاح :

فهما أعلم بما بينهما ، وهما أقدر الناس على تدارك الشقاق وفتور العلاقات بينهما . وقد تكفى كلمة عتاب رقيقة ، واعتذار عن هفوة ، فى إصلاح ما بينهما .

﴿ وَإِن امْرَأَةٌ خَافَتْ من بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ، وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ، وأُحْضِرَت الأنفُسُ الشُّحَّ ، وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [سورة النساء : ١٢٨] .

٢ – الحكمان يحاولان الإصلاح :

وإذا عجز الزوجان عن الإصلاح بينهما ، وسارت الأمور إلى الأسوأ ، فلا مناص من تدخل خارجى ويكون ذلك باختيار حكم من قبل الزوج ، وحكم من قبل الزوجة ، يفترض فى كل منهما الحرص على استمرارية الحياة الزوجية ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِه وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيراً ﴾ [سورة النساء : ٣٥] .

٣ – أبغض الحلال إلى الله الطلاق :

وإذا فشلت كل الوسائل لتحقيق المصالحة بين الزوجين ، وبدت المعيشة بينهما مستحيلة ، فلا مناص من اللجوء إلى الطلاق الذى سماه رسول الله : أبغض الحلال إلى الله .

على أن الطلاق فى الإسلام لا يعنى الفرقة الدائمة بين الزوجين إلا فى حالة خاصة ، وفيما عداها فهو تفرقة بينهما إلى حين ، لعلها تكون عاملا نفسيا يساعد على تهدئة النفوس الثائرة وتضميد الجراح الحقيقية والمتوهمة . وهنا يسير الطلاق وفق قيود وضوابط ، تعمل جميعها من أجل كبح الفرقة الدائمة كالآتى :

(أ) الطلاق فى طهر :

فقد طلق ابن عمر امرأته وهى حائض فقال له رسول الله ﷺ أن يراجعها ، فردها . ثم قال ﷺ : **إذا طهرت فليطلق أو يمسك .**

(ب) الرجوع عن الطلاق فى فترة العدة :

تعرف العدة بأنها المدة التى تتربص فيها المرأة بعد طلاقها أو وفاة زوجها كى يحل لها الزواج من غيره . وقد أمر الله بإحصاء العدة نظرا لأهميتها فى

الحياة الزوجية ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ [سورة الطلاق : ١] ·

وبالنسبة للمرأة العادية ، ذات الحيض المنتظم ، فقد حدد القرآن العدة بثلاث قروء ؛ فقال :

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨] ·

والقرء – لغة – هو الحيض ، وهو أيضا الطهر ، فهو من الأضداد ، وبذلك يكون على المطلقة أن تمكث بعد طلاق زوجها لها طلاقا صحيحا مدة ثلاثة قروء ، أى بعد وقوع ثلاث حيضات بعد الطلاق ، قبل أن يحل لها الزواج بآخر ·

ولقد أمر الله بإبقاء الزوجة المطلقة فى منزل الزوجية خلال فترة العدة ، إلا فى حالة ترديها فى البذاءة والفحشاء · بل إن الله كرمها إذ سمى منزل الزوجية **بيتها** ، فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لعِدَّتِهِنَّ ، وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ، لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ، وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، لاَ تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [سورة الطلاق : ١] ·

ولا شك أن الحكمة من فترة العدة ومعيشة الزوجين خلالها فى بيت الزوجية الذى سماه الله بيتها – من غير معاشرة جنسية – إنما لتكون سبيلا إلى استعادة النفوس صفاءها وتضميد الجراح ·

وخلال فترة العدة يستطيع الزوج مراجعة زوجته وإعادتها لعصمته دون حاجة إلى عقد جديد أو مهر جديد : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاَحًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٨] ·

لكن الأمر ليس عبثا ، فقد حسبت هذه طلقة ·

(جـ) الطلاق مرتان :

لقد سمح الله بإيقاع الطلاق مرتين اثنتين فقط ، يستطيع الزوج خلال عدتها مراجعة زوجته دون عقد ومهر ، كما يحق له أن يعود إلى الزواج منها إذا انقضت عدتها ولم يراجعها فيها ولم تتزوج هي من رجل آخر ٠

أما إذا أسرف الزوج على نفسه وأوقع بزوجته الطلقة الثالثة ، فقد بانت منه بينونة كبرى ٠ وسواء انتهت الحياة الزوجية بالطلاق ، أم استعيدت مرة أخرى ، فقد أمر الله – سبحانه – بالمعروف والإحسان بين الزوجين :

﴿ الطَّلاَقُ مَرَّتَان ، فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوف أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَان ، وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّه ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ الله فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ به ، تِلْكَ حُدُودُ الله فَلاَ تَعْتَدُوهَا ، وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * فَإِنَ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ، فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أن يُقِيمَا حُدُودَ الله ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّه يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٩ ، ٢٣٠] ٠

(د) حقوق للزوجة :

ويحق للمرأة أن تجعل العصمة بيدها فى عقد الزواج ، كما يحق للزوجة أن تطلب الطلاق من القاضى ، بعد إثبات استحالة دوام العشرة مع زوجها ٠

وأيضا يحق للزوجة المطلقة أن ترث فى زوجها إذا مات قبل أن تنقضى عدتها ٠

وأخيرا فمهما تكن مرارة وضع الزوجين بعد افتراقهما بالطلاق ، فيجب ألا يكون ذلك نهاية الحياة لأى منهما ٠ فلعل الله يعوض كلا منهما بمن هو خير ، وما ذلك على الله بعزيز ٠ بل لعل هذا الأمل هو ما يبثه قول الله فى النفوس التى اكتوت بنار الفراق :

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ ، وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾

[سورة النساء : ١٣] ٠

*

مسئوليات الرجل بعد الطلاق :

فرض الله على الرجال معاشرة زوجاتهن بالمعروف ، فقال سبحانه ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ** ﴾ [سورة النساء : ١٩] .

وإذا حدث طلاق ، ثم ارجع الرجل زوجته إلى عصمته عاد القرآن ليؤكد من أخرى ضرورة إمساكها بمعروف وليس من أجل إيقاع الضرر بها ، فقال : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾

[سورة البقرة : ٢٣١] .

أما إذا كان الفراق ، فقد أمر الله ان يكون ذلك أيضا بالمعروف والإحسان ، فقال : ﴿ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣١] .

﴿ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٩] .

ولما كان المعروف والإحسان يمكن أن يشتمل على جانب أخلاقى يتمثل فى المعاملة والسلوك ، وجانب آخر مادى يتمثل فى البذل والعطاء ، فقد أكد القرآن على قيام الرجل الذى طلق زوجته **بدفع تعويض مادى لها سماه متعة** ، تقوم حياتها به فى فترة ما بعد الطلاق إلى ان يجعل الله لها مخرجا من أزمتها . وقد اعتبرت هذه المتعة **حقا للمطلقة** ، فقال سبحانه : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤١] .

﴿ لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفرضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ، حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ * وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ من قَبْلِ أن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذى بِيَده عُقْدَةُ النِّكَاحِ ، وَأن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَلاَ تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ، إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[سورة البقرة : ٢٣٦ - ٢٣٧] .

وبالنسبة للإسكان والإنفاق ، وخاصة ذوات الأحمال منهن ، يقول الله ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ،

وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ، فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ، وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى * لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ، وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ، لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [سورة الطلاق : ٦ – ٧] ٠

لقد رأينا كيف يقوم الطلاق فى التوراة على مجرد ورقة مكتوبة يعطيها الرجل لمطلقته ٠ ثم جاءت تعاليم الإنجيل لتمنع الطلاق إلا لعلة الزنا ، حسب قول متى ٠ أما فى القرآن ، فهناك مواجهة لواقع الحياة الذى برهن على حاجة الحياة الزوجية إلى اللجوء إلى الطلاق كمتنفس أخير وعلاج بغيض لابد منه فى بعض الحالات ٠ لكن هذا العلاج تسبقه خطوات وإجراءات تكبح اللجوء إليه ، ثم تعقبه تبعات ومسئوليات يتحمل الرجل الغرم المادى فيها بوجه عام ٠

*

الأعباء المالية للرجل :

ذكرنا فيما سبق ، بعض الأعباء المالية التى تلزم الشريعة الإسلامية الرجل بتحملها وخاصة فى مجال الإنفاق على بيت الزوجية ، بل هو مسئول قبل ذلك عن تدبير المسكن المناسب لزوجته ٠ ونريد الآن استعراض أهم الأعباء المالية التى يلتزم بها الرجل فى حياته الزوجية والأسرية ٠

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت أن الشريعة الإسلامية قضت « أن يحتمل الرجل نفقات الأسرة من زوجة وبنين وأقارب ٠

وأن تحتمل المرأة تدبير البيت ، وشئون الحمل والوضع والتفرغ لحضانة الأطفال ، والقيام على أمرهم ٠

وفى ظل هذا الأساس نرى بالموازنة بين نصيب الرجل والمرأة أن المرأة أسعد حظا من الرجل فى نظر الإسلام : فقد أوجب لها مهرا لاحد لأكثره : ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [سورة النساء : ٢٠] ٠

وأوجب لها على الرجل : نفقتها وكسوتها وجميع ما تحتاج إليه بالمعروف لبيتها ، حتى أوجب الخادمة والخادمتين :

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ [سورة الطلاق : ٧] .

وأوجب لها إذ ما طلقت : **نفقة العدة** ، على نحو ما وجبت لها فى حياتها الزوجية . وأوجب لها **المتعة** ، وهى ما يبذله الرجل بعد طلاقها غير نفقة العدة ، مما تحفظ به نفسها وكيانها : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤١] .

أما الرجل فهو كما قلنا مطالب بنفقته على نفسه وعلى أولاده وعليها ، وعلى نوائب الحياة كلها التى تنشأ من مكافحته فيها ثم على والديه وأقاربه إن كانوا ضعافا أو فقراء . وإذن فبماذا يمتاز الرجل عنها ؟! » (١) .

إن الرجل مطالب – إذن – بكافة الأعباء المالية ، أما المرأة ، الزوجة ، فلا تطالب بأى شىء . إن جادت بشىء من مالها فذاك فضلها ، وإن أمسكت فذاك حقها ، ولا تثريب عليها . إن العدل يقضى بأن يؤخذ هذا فى الاعتبار عند الميراث .

* *

ميراث المرأة :

نص القرآن على مبدأ توريث الإناث كطرف مقابل للذكور ، بصرف النظر عن حجم التركة ، فقال :

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ، نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [سورة النساء : ٧] .

إن ذلك إجمال أعقبه تفصيل وتحديد لنصيب كل وارث ، فنعلم منه :

أولاً : نص القرآن الكريم على المساواة فى الميراث بين الذكر والأنثى فى حالات :

١ – فيما بين الأخ والأخت لأم فى إرثهما من أخيهما ، إذا لم يكن له أصل من الذكور ولا فرع وارث :

(١) المرجع السابق ص ٢٣٨ .

﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ، فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ، مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ، وَصِيَّةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة النساء : ١٢] .

٢ – فيما بين الأب والأم فى إرثهما من ولدهما إن كان له ولد :

﴿ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾

[سورة النساء : ١١] .

ثانيا : نص القرآن على جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى فى حالات :

١ – فى حالة وجود أولاد للمتوفى ، ذكوراً وإناثاً :

﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ ، لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء:١١] .

٢ – فى حالة التوارث بين الزوجين :

حيث يرث الزوج من زوجته ضعف ما ترثه هى منه :

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ، فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ، مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ، وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ، فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ، مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ [سورة النساء : ١٢] .

ويلزمنا فى هذه الحالة أن نتذكر الأعباء المالية الملقاة على عاتق الرجل وقد أعفيت منها المرأة ، لنعلم الحكمة من التوريث هنا حسب قاعدة : ﴿ **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ** ﴾ فهذا عدل لا مراء فيها ، اقتضته الموازنة السليمة بين حقوق الرجل وواجباته ، مترجمة فى صورة مالية .

*

لقد أبطل الإسلام قاعدة : لا ترث الإناث إلا عند فقد الذكور ، والمعمول بها فى الشرائع السابقة ، فاصبحت البنات يرثن فى أبيهن المتوفى سواء ترك أبناء ذكورا أم لا ، وترث الأم فى ابنها المتوفى مع أبيه إن كان لا يزال على

قيد الحياة ، أو بدون أبيه إن كان قد توفى ، وترث الزوجة فى زوجها المتوفى كما يرث الزوج فى زوجته المتوفاة .

وصار حقا على المرأة المسلمة أن تحمد الله على ما آتاها من فضله ، وبعض هذا الفضل أن لها نصيبا مفروضا فى الميراث تقيم به حياتها - والمال عصب الحياة كما يقال - وتثبت به كيانها كإنسان كرمه الله . فالذكر والأنثى فى ميزان الحق سواء . إن هذا ما يقرره القرآن فى قوله الكريم :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى ، بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٥] .

*

شهادة المرأة :

يتوقف الحكم فى مختلف القضايا بين الناس على شهادة الشهود وما تتم به البينة من أدلة قوية لا يتسرب إليها الاحتمال ، تتفاعل جميعها فى فكر القاضى ، فيصدر حكمه وفقا للقانون وهو مستريح الضمير .

وهناك أنواع من القضايا لا يتوقف الحكم فيها على مجرد اتفاق عدد من الشهود حول واقعة ما ، بل تكون المصداقية متوقفة على خبرة الشهود ، ونوعيتهم ، لا على عددهم . مثال ذلك : تقارير الطب الشرعى ، وخبراء البصمات ، ومكافحة التزييف .. الخ ، والله يقول : ﴿ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [سورة فاطر : ١٤] .

ومن هنا تنوعت المواقف بالنسبة لشهادة المرأة :

١ - فهناك مواقف تكون فيها شهادة المرأة كشهادة الرجل تماما :

وفى هذا يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت : « نص القرآن على أن المرأة كالرجل - سواء بسواء - فى شهادات اللعان ، وهو ما شرعه القرآن بين الزوجين حينما يقذف الرجل زوجته وليس له على ما يقول شهود :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ

أحدهم أربع شهادات بالله ، إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين * ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله ، إنه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾

[سورة النور : ٦ – ٩] .

أربع شهادات من الرجل يعقبها استمطار لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ؛ **ويقابلها ويبطل عملها** أربع شهادات من المرأة يعقبها استمطار غضب الله عليها إن كان من الصادقين » (١) .

٢ – وهناك مواقف تكون فيها شهادة امرأتين مكافئة لشهادة رجل :

وذلك فى مقام المعاملات المالية والتجارية ومعاملات الأسواق وما إلى ذلك . ولقد جاء هذا فى آية الدين التى تعتبر أطول آية فى القرآن :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ، واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شىء عليم ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٢] .

يقول الشيخ محمود شلتوت : « المقام مقام استيثاق على الحقوق ، لا مقام قضاء بها . والآية ترشد إلى أفضل أنواع الاستيثاق الذى تطمئن به نفوس

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤١ .

المتعاملين على حقوقها ، وليس معنى هذا أن شهادة المرأة الواحدة ، أو شهادة النساء اللاتى ليس معهن رجل ، لا يثبت بها الحق ولا يحكم بها القاضى · فإن أقصى ما يطلبه القضاء هو البينة · وقد حقق العلامة **ابن القيم** أن البينة فى الشرع أعم من الشهادة ، وأن كل ما يتبين به الحق · ويظهره هو بينة يقضى بها القاضى ويحكم · ومن ذلك يحكم القاضى بالقرائن القطعية ، ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطمأن · والآية جاءت على ما كان مألوفا فى شأن المرأة – ولا يزال أكثر النساء كذلك – لا يشهدن مجالس المداينات ولا يشتغلن بأسواق المبايعات · واشتغال بعضهن بذلك لا ينافى الأصل الذى تقضى به طبيعتها فى الحياة » ·

٣ – وهناك مواقف تكفى فيها شهادة المرأة وحدها :

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت : « نص الفقهاء على أن من القضايا ما تقبل فيها شهادة المرأة وحدها · وهى القضايا التى لم تجر العادة باطلاع الرجال على موضوعاتها ، كالولادة ، والبكارة ، وعيوب النساء فى القضايا الباطنية ·

يقول الحق سبحانه : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ ،وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِى أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾

[سورة البقرة : ٢٢٨] ·

فهذه من المواقف التى تقبل فيها شهادة المرأة وحدها ، اعتمادا على صدق إيمانها ، واستثارة للوازع الدينى ، وازع الضمير اليقظ ·

ودل هذا على أن المرجع فى هذا إليهن ، لأنه أمر لا يعلم إلا من جهتهن ، ويتعذر إقامة البينة غالبا على ذلك ، فرد الأمر إليهن ، وتوعدهن فيه لئلا يخبرن بغير الحق ، إما استعجالا منها لانقضاء العدة ، أو رغبة منها فى تطويلها ، لما لها فى ذلك من المقاصد » (١) ·

*

(١) المرجع السابق : ص ٢٣٩ – ٢٤٠ ·

عقوبة لحماية سمعة المرأة :

نص القرآن على عقوبة لمن يتعرض كذبا بالسوء لسمعة المرأة ، **تعرف بحد القذف** ، وذلك نظرا لخطورة تلك الجريمة على حياتها وحياة أسرتها ومستقبلها :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة النور : ٤ – ٥] .

وقد عد رسول الله قذف المحصنات من الذنوب الكبائر، فقال : « (**اجتنبوا السبع الموبقات**) . قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، **وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » (رواه البخارى ومسلم) .

وما من شك فى أن شعوب أوربا ، **ونساءها بوجه خاص ، كانت فى أشد الحاجة لتطبيق حد القذف على أولئك الظلمة من أهل السلطة الدينية وأتباعهم** ، الذين أثاروا موجات مجنونة ضد النساء عرفت باسم : **تعقب المتشيطنات وقمعهن** ، بزعم أن أولئك المضطهدات كن يمارسن الجنس مع الشيطان . ولم يكن من شهود سوى الشبهات ، وانتزاع الاعترافات منهن تحت وطأة التعذيب الوحشى .

وإلا ، فأى عاقل هذا الذى يستطيع الشهادة بأنه رأى امرأة تمارس الجنس مع الشيطان ؟! .

وبعد .. لقد تعمدت أن تكون أغلب مادة هذا البحث الخاص بمكانة المرأة فى الإسلام مما سطره قلم الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت – شيخ الأزهر السابق – وذلك نظرا لكونه رأس أقدم مؤسسة تعليمية دينية تمتد جذورها لأكثر من ألف عام ، وتمتد إشعاعاتها العلمية والثقافية والروحية فى شتى أرجاء العالم الإسلامى ، لا بل أرجاء العالم كله . ويكفى التذكرة بأن أوربا لم تعرف

نظام **أستاذ الكرسى** فى جامعاتها التى أنشئت بعد الأزهر بقرون عديدة ، إلا نقلا عن الأزهر العريق ٠

كذلك اختتم بقول فضيلته : « وبعد ٠٠ فهذه عدالة الإسلام فى توزيع الحقوق العامة بين الرجل والمرأة ٠ **وهى عدالة تحقق أنهما فى الإنسانية سواء** » (١) ٠

* * *

(١) لمزيد من التفاصيل فى موضع المرأة فى الأديان ، راجع كتاب المؤلف : تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ٠

الملحق رقم (١٠)

شكل الكون حسبما جاء فى الكتاب المقدس

تقرر حقائق العلم الحديث مجموعة من المعطيات التى تتعلق بخلق الكون ومكوناته ، نذكر منها :

– الشمس نجم متوسط الحجم والعمر ، ويعتبر واحداً من بين ملايين – لا ، بل من بين بلايين – النجوم التى تملأ السماء . وقد انفصلت عنها أجزاء مختلفة الكتل والأحجام تعرف بالكواكب السيارة التى تدور حولها . وبنفس الطريقة انفصلت كتل أخرى من بعض الكواكب وصارت تدور حولها ، وتسمى هذه الكتل أقمارا ، فالأرض تعتبر بنتا للشمس ، كما يعتبر القمر ابنا للأرض .

– ولقد أدت دراسة الطيف الشمسى إلى الكشف عن ماهية العناصر الموجودة فى الشمس ، وتبين أن أكثر من ٦٠ ٪ من العناصر الأرضية المعروفة ثبت وجودها هناك . ومن الجدير بالذكر أن غاز الهيليوم اكتشف فى الشمس قبل معرفته فى الأرض بنحو عشرين عاماً .

– والشمس والنجوم كلها مضيئة بذاتها ، أما القمر فإنه منير نتيجة لانعكاس أشعة الشمس على سطحه .

– للأرض حركة دورانية حول محورها مرة كل يوم ، ينتج عنها تعاقب الليل والنهار ، أو حدوث المساء والصباح .

كما أن للأرض حركة دورانية حول الشمس مرة كل عام ، ينتج عنها تعاقب الفصول الأربعة : الشتاء والربيع والصيف والخريف .

– للقمر دورة حول الأرض مرة كل شهر تقريبا .

وتنتظم شمسنا مع حشود هائلة من النجوم تكون فى مجموعها شكلا هندسيا بديعا كالقرص ، يعرف باسم المجرة . وبصورة أدق فإن المجرة التى تقع فيها شمسنا ترى على هيئة عدسة محدبة الوجهين ، لها دائرة استوائية تقسمها إلى نصفين متماثلين تماما . ويبلغ قطر المجرة ١٠٠٠٠٠ سنة ضوئية ، بينما يبلغ سمكها ١٠٠٠٠ سنة ضوئية وتقع الشمس - ومجموعتها ومنها الأرض - بين دفتى الحافة الرقيقة على بعد ٣٠٠٠٠ سنة ضوئية من المركز ، وهى تسبح كغيرها من نجوم المجرة - التى تبلغ نحو ٤٠٠٠٠ مليون نجم ! حول المحور العمودى والسنة الضوئية = ٦٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ميلا (٦ مليون مليون ميلا) وفى الكون ملايين المجرات ، وقد أمكن إحصاء أكثر من ١٠٠٠ مليون مجرة ، تحتوى الواحدة منها - فى المتوسط - على ١٢٠ ٠٠٠ مليون نجم ! .

- إن وجود الشمس يجب أن يسبق مكونات الحياة الأرضية :

فحرارة الشمس لازمة لتبخير مياه البحار وتكوين السحب ثم نزول الأمطار . وضوء الشمس لازم لحياة النبات - وهو بالتالى لازم لحياة الحيوان والإنسان - ذلك أن اليخضور (الكلوروفيل) الموجود فى بلاستيدات النبات الأخضر يقوم باستقبال ضوء الشمس وتخزينه ، فتتحول الطاقة الضوئية إلى طاقة كيميائية تقوم بربط الماء مع ثانى أكسيد الكربون فى بنايات جزيئية صغيرة . ثم تترابط هذه فى دورة معقدة ، مكونة سكريات وأحماضا أمينية وبروتينا .. الخ .

هذا - ويبدأ « الكتاب المقدس » بالحديث عن عملية خلق الحياة على الأرض ، فيقول :

« فى البدء خلق الله السموات والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه القمر ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه **وقال الله ليكن : نور ، فكان نور .**

ورأى الله النور أنه حسن . وفصل الله بين النور والظلمة .

ودعا الله النور نهارا ، والظلمة دعاها ليلا .

وكان مساء وكان صباح : يومًا واحدا – تكوين ١ : ١ – ٥ » .

إن هذا يعنى أن اليوم الأول من أيام الخلق الستة قد شهد : خلق النور ، وتعاقب الليل والنهار لتكوين المساء والصباح .

ولما كان النور يأتى من الشمس ، وكان تعاقب الليل والنهار يحدث نتيجة لدوران الأرض حول نفسها أمام الشمس ، فإن اللازم الذى لا مفر من التسليم به هو أن يكون خلق الشمس قد تم قبل ذلك .

لكنا نجد أن الشمس لم تخلق هى والقمر والنجوم والكواكب ، إلا فى اليوم الرابع – إذ يقول سفر التكوين :

« وقال الله لتكن أنوار فى جَلَد السماء لتفصل بين النهار والليل . وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين . وتكونَ أنوار فى جَلَدِ السماء لتنير على الأرض . وكان كذلك .

فعمل الله النورين العظيمين : النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل . وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض . . وكان مساء وكان صباح : **يوم رابعا** – ١ : ١٤ – ١٩ » .

كذلك نجد أن اليوم الثالث قد شهد خلق النبات على اختلاف أنواعه وثمره :

« وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبرز بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه . . **وكان كذلك** . فأخرجت الأرض عشبا وبقلا . . وشجرا يعمل ثمرا . . وكان مساء وكان صباح : يومًا ثالثا – ١ : ١١ – ١٣ » .

أى أن النبات خلق قبل خلق الشمس والنجوم ، وهذا أيضا يتنافى مع حقائق العلم المعروفة .

*

ومن المفهوم أن النورين العظيمين اللذين خلقا لحكم النهار ولحكم الليل

هما : الشمس والقمر . وهو ما صرح به المزمور ١٣٦ فى قوله : « الصانع أنوار عظيمة .. الشمس لحكم النهار .. والقمر والكواكب لحكم الليل » .

* *

هذا – ولقد قام علماء **الترجمة الإنجليزية المراجعة** (١) للكتاب المقدس وعددهم ٣٢ عالما متميزاً – بإخراج هذه الترجمة الحديثة بعد مجهودات حاولوا فيها تجنب الأخطاء التى وجدوها فى الترجمات الإنجليزية السابقة . وقد اشتملت هذه الترجمة على تصور لشكل الكون حسبما جاء فى الكتاب المقدس ، وضعوه فى نهاية الإصحاح الأخير – ورقمه ٣٤ – من سفر التثنية DEUTERONOMY ، وهو السفر الأخير من أسفار موسى الخمسة . وهو الشكل الذى نجده فى الصفحة التالية ، ومنه يلاحظ الآتى :

– الأرض قائمة على أعمدة تسمى أعمدة الأرض Pillars of the Earth ، وهذه تغوص فى لجج المياه ، وبذلك تقوم القطعة الأرضية على الماء .

– تعتبر **الجبال أعمدة السماء** **Pillars of the sky**

– تقع **الهاوية** Sheol فى قلب الأرض ، وهى مستقر أرواح الموتى .

– توجد مياه فوق جلد السماء

WATERS ABOVE THE FIRMAMENTS

– تحيط بكل ذلك : السماء مسكن الله

HEAVEN : THE DWELLING PLACE OF GOD

*

ولا يجد الإنسان صعوبة فى معرفة المصادر التى جاء منها هذا التصور الوهمى لشكل الكون . فلقد جاء من الصفحات الأولى من سفر التكوين ، التى تتحدث عن خلق السموات والأرض ،وقد رأينا بعضا من فقراتها .

---

(1) Revised Standard Version (R . S . V) .

كذلك جاء هذا التصور من فقرات متناثرة فى بقية أسفار « الكتاب المقدس » ، جاءت منها العناصر التى تصور شكل الكون مثل :

أعمدة الأرض : « للرب أعمدة الأرض ، وقد **وضع عليها المسكونة** — صموئيل الأول ٢ : ٨ » .

الأرض ممدودة فوق المياه « (الرب) الباسط الأرض **على المياه** — مزمور ١٣٦ : ٦ » .

المياه التى فوق جَلَد السماء : « وقال الله ليكن جَلَد فى وسط المياه . وليكن فاصلا بين مياه ومياه . فعمل الله الجلد ، وفصل بين المياه التى تحت الجلد **والمياه التى فوق الجلد** . وكان كذلك . **ودعا الله الجلد سماء** . وكان مساء وكان صباح : يوما ثانيا — تكوين ١ : ٦ — ٨ » .

« سبحيه يا سماء السموات ، **ويا أيتها المياه التى فوق السماوات** — مزمور ١٤٨ : ٤ » . « **المسقِّف علالية بالمياه** — مزمور ١٠٤ : ٣ » .

الهاوية :

« تنزلون شيبتى بحزن إلى **الهاوية** — تكوين ٤٢ — ٣٨ » .

« إن ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم ، **فهبطوا أحياء إلى الهاوية**،تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب — عدد ١٦ : ٣٠ » .

دائرة الأرض :

الرب « الجالس على **كرة الأرض** — ٤٠ : ٢٢ » .

وهنا وقفة . . ذلك أن الترجمة العربية لهذه الفقرة من سفر أشعياء تخالف حقيقة النص الأصلى الذى يتحدث عن **دائرة الأرض** ،وليس كرة الأرض .

فبمراجعة الترجمات المختلفة ، سواء فى اللغة الواحدة (الانجليزية مثلا) ، أو فى اللغات المختلفة (مقارنة الانجليزية بالفرنسية مثلا) ، نجد الآتى :

(أ) تراجم انجليزية :

- It is he that sitteth upen the circle if the earth . (King James Version) .

- It is he who sits above the circle of the earth . (Revised Standard Version) .

(ب) تراجم فرنسية :

- C'est Iui qui est assis au dessus du cercle de la terre . (Tr . L . Segond) .

- It trône au - dessus du cercle de la terre . (B . de . Jérusalem) .

(جـ) ترجمة ألمانية :

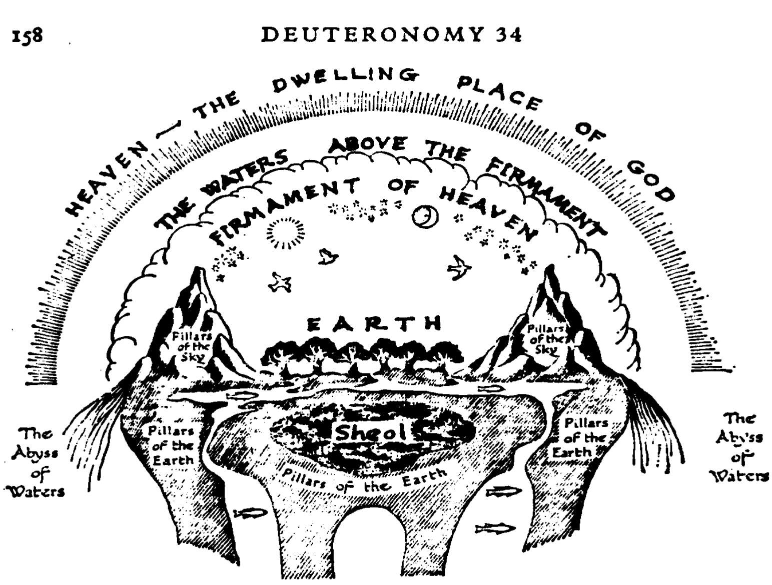
- Er thront uber dem Kreis der Erde (Nach der Ubersetzung Martin luthers) .

هذا ولقد اتفقت جميع هذه الترجمات على مصطلح : **دائرة الأرض** وليس كرة الأرض حسب الترجمة العربية المنحرفة ، وهذه الدائرة يقصد بها دائرة الأفق التى ترى بالعين المجردة . ولا يمكن الزعم بأنها تشير إلى أن الأرض كروية ، بأى حال من الأحوال .

ومهما كان الحال ، فمن الواضح أن القول بأن الأرض تقوم على أعمدة تغوص فى الماء ، إضافة إلى مكونات الكـون الأخرى الموجودة فى الشكل المرسوم ، ثم الجهل بحقيقة المجرات والحشود النجمية الأخرى .. كل ذلك يخالف تماما الحقائق العلمية التى أصبحت فى متناول الجميع ، بعد التقدم العلمى الهائل فى غزو الفضاء واستكشاف محتواه والإتيان كل يوم بالعجائب التى تشير جميعها إلى عظمة هذا الكون واتساعه فى حدود شبه لا نهائية ، وتؤكد بذلك عظمة الخالق اللانهائية .

* *

158 DEUTERONOMY 34



Early conception of the universe

"Blessed above sons be Asher;
let him be the favourite of his brothers,
and let him dip his foot in oil.
25 Your bars shall be iron and bronze;
and as your days, so shall your strength be.

26 "There is none like God, O Jesh'urun,
who rides through the heavens to your
help,

The death of Moses

And Moses went up from the plains of 34
Moab to Mount Nebo, to the top of Pisgah,
which is opposite Jericho. And the LORD
showed him all the land, Gilead as far as Dan,
all Naph'tali, the land of E'phraim and 2
Manas'seh, all the land of Judah as far as the
Western Sea, the Negeb, and the Plain, that 3

شكل الكون حسبما جاء فى الكتاب المقدس

القرآن وحقائق العلم

خلق السموات والأرض :

فى هذا المجال يقدم القرآن للناس حقائق أساسية عن عملية خلق هذا الكون وما فيه ، فنعلم أنه :

– فى البدء كان الكل شيئا •احدا ، فحدث الانفجار العظيم الذى خلق عالم متكاثرة :

﴿ أوَ لَمْ يَرَ الَّذينَ كَفَرُوا أنَّ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ، أفَلاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٠] .

لقد نشرت صحيفة « **إندبندنت** » البريطانية يوم الثلاثاء ٢٨ أبريل ١٩٩٢ رسالة من أحد قرائها البريطانيين فى باب « بريد القراء » ترجمتها صحيفة « الأهرام » القاهرية ونشرتها بتاريخ ١ / ٥ / ١٩٩٢ كالآتى :

« من الدكتور ب . م – دودهى .

سيدى : هكذا عثر العلماء على برهان يؤكد نظريتهم عن « الانفجار الكبير » (حول بداية الكون) . أليسا مدهشا أنهم لم يفعلوا إلا أن أكدوا ما قاله القرآن منذ ١٤٠٠ سنة .

فقد جاء فى الآية ٣٠ من سورة الأنبياء ما نصه :

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَات والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ، أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

أليس رائعا أن يبسط القرآن فى آية قصيرة واحدة حقيقة نظريات « الانفجار الكبير » وخلق الحياة .

توقيع

ب . م . دودهى ايكنهان ميدلسكس

ولا تعقب هنا إلا التذكرة بقول الحق فى القرآن ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [سورة فصلت : ٥٣] ٠

– والكون يتسع ويتمدد إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [سورة الذاريات : ٤٧] ٠

– والنجوم فى السماء على أبعاد سحيقة ، لا يعلم قدرها إلا أولو العلم ولقد ذكرنا شيئًا من تلك الأبعاد فيما سبق :

﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة الواقعة : ٧٥ – ٨٠] ٠

– وشكل الأرض شبه كروى ، فهى كالأدحية ، قريب من المجسم البيضاوى :

﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [سورة النازعات : ٣٠] ٠

فالأرض ليست تامة الكروية بسبب اختلاف طولى قطريها الاستوائى (الأكبر) والقطبى (الأصغر) ٠ لكن الشكل العام لها يبدو كرويا من بعيد : ﴿ يُكَوِّرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ ﴾ [سورة الزمر : ٥] ٠

فمن المعلوم أن النهار يتجلى نتيجة لتشتت ضوء الشمس الساقط على جسيمات الغلاف الجوى المحيط بالأرض ، إذ يعتبر قشرة تحيط بها من الهباءات والذرات : والليل والنهار متعاقبان بسبب دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ، ويحدثان فى الغلاف الجوى للأرض باستمرارية حثيثة ٠ ومن ثم يكون تكويرهما إشارة إلى تكوير الغلاف الجوى – مكان تخليقهما – وبالتالى يكون إشارة إلى استنباط كروية الأرض ٠

فمعاجم اللغة تقول : « كار الرجل العمامة : أدارها على رأسه ، وكل دور كور ٠ ويقال : كورت الشىء ، إذا لففته على جهة الاستدارة » ٠

– وللأرض حركة سبح فى الفضاء على العكس مما يحسبه الإنسان ، فحين

يقف أمام جبل يحسبه جامدا فى مكانه ، لكن القرآن يقرر بوضوح أن الجبال – وهى من المعالم الرئيسية فى الأرض – تمر مر السحاب . ومن ثم لابد أن تكون الأرض التى تحمل هذه الجبال تمر مر السحاب : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ، إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة النمل : ٨٨] .

– وصعود الإنسان فى طبقات الجو العليا ، دون احتياطات من أخطار هذا التصعيد ، يعرضه إلى خلل فى أداء الوظائف الحيوية ينتج عنه شعور بالضيق الشديد وغثيان وآلام حادة ونزيف . ويشير القرآن إلى ما يصيب الإنسان أثناء تصعيده فى طبقات الجو العليا ، فيقول :

﴿ فَمَن يُرِدِ اللهُ أن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ ، وَمَن يُرِدْ أن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ، كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٥] .

*

الرياح وحركة الحياة :

تعرف الريح بأنها حركة الهواء بالنسبة لسطح الأرض (يابسة وماء) . وتتعرض الأجزاء المختلف من سطح الأرض إلى مقادير غير متساوية من حرارة الشمس بسبب دوران الأرض وميل محورها وتغير موضعها بالنسبة للشمس أثناء السنة وبسبب اختلاف توزيع مناطق اليابسة والماء . ويؤدى هذا إلى نشوء تيارات الحمل على نطاق واسع حول الكرة الأرضية على شكل أحزمة ولا سيما فوق خط الاستواء ، فتتعرض المناطق التى تتجمع عندها الرياح لصعود فى الضغط مصحوب بالسحب والأمطار ، بينما تتعرض المناطق التى تبتعد عنها الرياح لانخفاض فى الضغط فتنعدم السحب والأمطار وتتكون بذلك الصحارى . وهكذا تتحكم الرياح فى شكل الحياة على الأرض بتحكمها فى مياه الأمطار .

وخلاصة القول فيما يتعلق بالرياح وحركة الحياة ، هو ما تقرره **دائرة معارف العلم والتكنولوجيا** ، إذ تقول :

« **إن الرياح تعتبر مسئولة – بطريق مباشر أو غير مباشر – عن إدارة ماكينة الحياة** »(1) .

وفى « **الكتاب المقدس** » . **نجد الريح قد جعلت وسيلة نقل للإله ، تحمله فيها إلى حيث يريد !** .

« **طأطأ السموات ونزل .. طار ورؤى على أجنحة الريح** – صموئيل الثانى ٢٢ : ١٠ » .

« **هفّ على أجنحة الريح** – المزمور ١٨ : ١٠ » .

« المسقف علالية بالمياه . **الجاعل السحاب مركبته . الماشى على أجنحة الريح** – المزمور ١٠٤ : ٣ » .

وحين نذهب إلى **القرآن** ، نجد توافقا تاما بين ما يقوله عن أهمية الرياح فى إدارة ماكينة الحياة وبين ما يقوله العلم الحديث . فلقد أكد القرآن فى آيات كثيرة تلك الأهمية وقرر أن إرسال الرياح وتصريفها إنما هى من أعمال الله المباشرة من أجل استمرارية الحياة على الأرض .

فالحق يقول :

﴿ اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [سورة الروم : ٤٨] .

﴿ وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ ، حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا

(1) Mc Graw - Hill ENCYCLOPEDIA of SCIENCE and TECHNOLOGY , 1982 vol . 14 , p. 647 .

ثقالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الأعراف :] ٠

وللرياح تأثيراتها المباشرة فى عمليات التلقيح فى الطبيعة وتكوين الأجنة المائية التى تكبر تدريجيا مكونة قطيرات السحابة ومن ثم قطرات المطر ٠ وكذلك تكوين الأجنة النباتية التى تنتج الثمار :

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٢٢] ٠

ولهذا أشار القرآن إلى أن تصريف الرياح يعتبر فى حد ذاته آية من آيات الله الظاهرة فى هذه الحياة :

﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٤] ٠

*

خلق الإنسان :

بدأ **علم الأجنة** فى أوربا متأخرًا جدًّا ، فكانت بداية بحوثه العلمية فى النصف الثانى من القرن السابع عشر ٠ ويعرض لنا الدكتور كيث بور – أستاذ علم الأجنة بجامعة تورنتو – فى مؤلفه المشهور : الإنسان المتطور ، نبذة تاريخية لبحوث الأجنة فيقول :

« فى عام ١٦٥١ قام هارفى بدراسة أجنّة الدجاج باستخدام عدسات بسيطة ، وتوصل إلى القول بأن الأجنة جاءت من إفرازات الرحم ٠ وفى عام ١٦٧٧ استخدم العالمان هام وليفين هوك ميكروسكوبا متطوراً ، من خلاله الحيوان المنوى الذكرى ، إلا أنهما لم يفهما دوره فى عملية الإخصاب ٠ فقد ظنا أنه يحتوى على جنين مصغر للإنسان (وبذلك لا دخل للمرأة فى تكوين الجنين ، وتسمى هذه النظرية : نظرية التخليق المسبق) ٠

وقد انقضى الجدال نهائيا حول نظرية التخليق المسبق حوالى عام ١٧٧٥ عندما بين سبالا نزانى أن كلا من بويضة الأنثى والحيوان المنوى الذكرى ضرورى لتكوين الجنين » [١] .

« وفى عام ١٨٧٥ تمكن هيرتويج من ملاحظة كيف يلقح الحيوان المنوى البويضة . وأثبتت بذلك أن كلا من الحيوان المنوى والبويضة يسهمان فى تكوين البويضة الملقحة (الزيجوت) . وكان بذلك أول إنسان يشاهد عملية التلقيح هذه ويصفها .

وفى عام ١٨٨٣ تمكن فان بندن من إثبات أن كلا من البويضة والحيوان المنوى يساهمان بالتساوى فى تكوين البويضة الملقحة .

وقد أثبت بوفرى عام ١٨٨٨ وعام ١٩٠٩ أن هذه الكروموسومات تنقسم وتحمل خصائص وراثية .

وهكذا يبدو بوضوح أن الإنسانية لم تعرف بواسطة علومها التجريبية أن الجنـــين الإنســـانى (أو الحيوانى) يتكـــون بامتـــشاج واختلاط نطفة الذكر ونطفة الأنثى إلا فى القرن التاســع عشر ، ولم يتأكد لها ذلك إلا فى القرن العشرين » [٢] .

*

أما على الجانب الآخر فنجد أن هذه المعلومات الأساسية حق خلق الإنسان فى متناول كل مسلم يقرأ القرآن ، يعرفها الصـبى الذى يتتلمذ على معلم للقرآن ، كما يعرفها البدوى الذى حفظ شيئا من آيات القرآن .

فلقد جاءت أول آيات القرآن نزولا تحدث الناس عن خلق الإنسان ، فتقول :

---

(1) Keith L. Moore: THE DEVELOPING HUMAN , Toronto, 1983 .

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن : الدكتور محمد على البار – الدار السعودية للنشر والتوزيع – ١٩٨٦ – ص ١٨٨ .

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾

[سورة العلق : ١ – ٢] .

ويبين القرآن أن الإنسان خلق من اختلاط نطفتى الجنسين ، الذكر والأنثى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيراً ﴾

[سورة الدهر : ٢] .

ولقد بين رسول الله ﷺ هذه الحقيقة فى إجابته ليهودى سأله عما إذا كان تخليق الإنسان من الرجل أم من المرأة فقال له : « يا يهودى ! من كل يخلق . من نطفة الرجل ونطفة المرأة » . (أخرجه الإمام أحمد فى مسنده) .

وأن الإنسان فى بطن أمه يمر بأطوار مختلفة :

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ﴾

[سورة الزمر : ٦] .

﴿ مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾

[سورة نوح : ١٣ – ١٤] .

ثم يفصل القرآن ما أجمله عن خلق الإنسان فيقول :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

[سورة المؤمنون : ١٢ – ١٤] .

إن من المعلوم أن ترجمة القرآن إلى اللاتينية بدأت فى القرن الثانى عشر الميلادى . ولو حاول الأوربيون الذين يقرؤون اللاتينية – وهم قليل فى تلك العصور المظلمة – أن ينظروا فى القرآن نظرة موضوعية تتسم بحيدة العالم المدقق لعرفت أوربا مبكرًا مبادىء خلق الإنسان التى أوردها القرآن بوضوح ، ولبدأ علم الأجنة فيها مبكرا قبل سبعة قرون .

ولكنه التعصب الأعمى والضلالات المتوارثة هى التى فعلت فعلها عبر القرون وعطلت تقدم الإنسان .

إن ما فى القرآن من حقائق علمية – ينفرد بها عن سواه من كتب مقدسة أخرى – ليقطع بأنه كلمة الله الأخيرة إلى الناس كافة .

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾

[سورة الحج : ٥٤ – ٥٥] .

إن هذا قليل من كثير ، وإيجاز شديد من غير شـرح أو تفصيل ، لبعض ما يمكن عرضه من مظـاهر الإعجاز العلمى للقرآن فيما يتعلق بخلق الكون والحياة .

*

أما بعد :

إن ما جاء فى « الكتاب المقدس » بوجه عام ، وما جاء فى أسفار موسى – وخاصة سفر التكوين – من تصادم مع حقائق العلم فيما يتعلق بخلق الكون والحياة ، لهى أمور يبرِّىء منها أهل العلم موسى والأنبياء ، فهى من عمل كتبة الأسفار الذين لم يراعوا الدقة فيما سطروه ، وها هى مقدمة أسفار الشريعة الخمسة (أسفار موسى) تقول :

« ما من عالم كاثوليكى فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل البانتاتيك (الكتب الخمسة) منذ قصة الخلق إلى قصة موته » (١) .

هذا تقرير إجمالى ، نجد تفصيلا له فى **كتب الشريعة الخمسة** ، المترجمة إلى العربية نقلا عن **الترجمة الفرنسية المسكونية** التى قام بها ١٢٥ عالما ، إذ

(١) مقدمة الكتاب المقدس ، الصادر عن دار المشرق – بيروت – ١٩٨٣ .

تقول فى تقديمها لسفر التكوين ما يقطع بأنه من عمل مؤلفين مختلفين تأثروا بأساطير الشرق الأدنى القديم ٠

« لم يتردد **مؤلفو الكتاب المقدس** ، وهم يروون بداية العالم والبشرية ، **أن يستقوا معلوماتهم** ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، **من تقاليد الشرق الأدنى القديم** ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية ٠

على أن **المؤلفين** الذين أعادوا النظر فى الفصول الأولى من سفر التكوين ، وأضفوا عليها اللمسات الأخيرة ، لم يكونوا مجرد مقلدين عميان ، بل **أحسنوا إعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم** ٠

بديهى أن المقارنة بين نص الكتاب المقدس والروايات المتعلقة ببداية العالم ، أو بأبطال العصور القديمة ، لا تخلو من الفائدة فى نظر قارىء الكتاب المقدس ٠ فهناك كثير من الشواهد عن الماضى الأدبى فى الشرق الأدنى القديم ، نذكر منها الرواية البابلية عن خلق العالم على يد الإله مردوك ، ومغامرات جلجامش البطل المحتوية على رواية بابلية عن الـطوفان ، أو الأبراج الشـامخة التى شادتها مدن ما بين النهرين إكراما لآلهتها والتى تذكِّر برواية برج بابل ٠

وُضعت روايات الآباء فى زمن يبعد كثيرا عن الأحداث العائدة إليها » ٠

*

إن الله الذى وسعت رحمته كل شىء ، يخاطب الناس جميعا فى القرآن العظيم ، آخر كتبه للناس ، فيقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١٧٤ ، ١٧٥] ٠

* * *

المراجع الرئيسية

(أ) تراجم عربية للكتاب المقدس

١ – الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط) .

٢ – كتب الشريعة الخمسة (دار المشرق – بيروت) .

٣ – العهد الجديد (دار المشرق – بيروت) .

(ب) تراجم إنجليزية للكتاب المقدس

4 - King James Version

5 - Revised Standard Version (R . S . V)

(جـ) تراجم فرنسية للكتاب المقدس

6 - Traduction Oecuménique de La Biblel (T . O . B)

7 - La bible de Jérusalem

(د) مراجع أخرى

٨ – الإسلام عقيدة وشريعة : الإمام الاكبر محمود شلتوت – دار الشروق – القاهرة .

9 - Karen Armstrong : The Gospel According to Woman , elm tree , London , 1986 .

10 - G . Caird : Saint Luke , Penguin Books , London , 1963 .

11 - J . Fenton : Saint Matthew , Penguin Books , London , 1963 .

12 - G . Wells : The jesus of the Early Christians , Pemberton Books , London , 1971 .

* * *

الفهرس

الصفحة

مقدمة الطبعة الثانية ٣
مقدمة الطبعة الأولى ٤
تمهيد ٩
الفصل الأول : ١١
(أولا) مدخل إلى الإسلام ١٣
(ثانيا) عقائد وتعاليم أساسية فى الإسلام ١٦
١- الله ١٧
٢- الأنبياء ١٩
٣- الإنسان ١٩
(ثالثا) الموقف مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ٢١
مخاطبتهم كطرف فى قضية الإيمان بالله ورسالاته ٢١
إعطاؤهم وضعًا متميزًا فى التعامل والعلاقات ٢٣
الفصل الثانى : ٢٥
موجز نقاط الاتفاق بين الإسلام والأديان الأخرى ٢٧
١- الله ٢٧
٢- الأنبياء ٣٠
٣- من تعاليم الحياة اليومية ٣٦
٤- البعث والجزاء فى الآخرة ٤٤
الفصل الثالث : ٤٧
موجز لنقاط الاختلاف بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى ٤٩

الصفحة

١ – الإله ٤٩
٢ – الأنبياء ٥٤
٣ – قضية صلب المسيح ٥٧
٤ – تحريف نصوص الأسفار ٦٠
الفصل الرابع : ٧١
حدود الرسالة ٧٨
ملاحق ٩٠
الملحق رقم (١) نحو صيغة التثليث من الطبعات الحديثة ٩١
الملحق رقم (٢) روايات الصلب ٩٨
الملحق رقم (٣) روايات القيامة ١٠٩
الملحق رقم (٤) شك التلاميذ فى روايات القيامة والظهور ١١٤
الملحق رقم (٥) روايات هلاك يهوذا الخائن ١١٨
الملحق رقم (٦) ملخص لتنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل ١٢٠
الملحق رقم (٧) المسيح فى الأناجيل ١٢٥
١ – نسب المسيح ١٢٥
٢ – أسماء التلاميذ ١٣٢
٣ – المسيح يلعن شجرة تين ١٣٣
٤ – تنبؤات باطلة ١٣٥
٥ – من أقوال المسيح وتعاليمه ١٣٩
الملحق رقم (٨) بولس ١٤٢

الصفحة

هل جعل بولس المسيح إلّها ؟ ١٥١

هل قال بولس : كل الكتاب موحى به من الله ؟ ١٦١

الملحق رقم (٩) المرأة فى الأديان ١٦٨

١ – المرأة فى اليهودية ١٦٨

٢ – المرأة فى المسيحية ١٧٢

(أ) المرأة فى مسيحية المسيح ١٧٢

(ب) المرأة فى مسيحية بولس ١٧٥

(ج) المرأة فى ظل الكنيسة ١٧٧

٣ – المرأة فى الإسلام ١٨٥

الملحق رقم (١٠) شكل الكون حسبما جاء فى الكتاب المقدس ٢٠٥

القرآن وحقائق العلم ٢١٢

المراجع الرئيسية ٢٢١

الفهرس ٢٢٢

رقم الإيداع ٩٨/٧٩١٢

الترقيم الدولى I.S.B.N.

977 - 225 - 119 - 1